

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





من ٣٠







892.78
S 65725 aA

الجزء الثاني من كتاب ❦ V. 2
C. 1

أما إلى السيد المرصفي

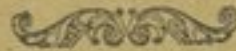
❦ الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله عنه ❦
❦ في التفسير والحديث والادب ❦

❦ الطبعة الاولى ❦

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)
(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

❦ حقوق الطبع محفوظة ❦

صححه وضبط ألفاظه وعاق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعماني الحلبي)



(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسمعيل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تأويل خبر] ٠٠ ان سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن بصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك ٠٠ وعما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قلب آدمي إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبتته يثبتته وان شاء أن يقلب قلبه ٠٠ وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقالت قلت يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا أم سلمة ما من آدمي إلا وقابه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ماشاء أقام وما شاء أزاغ ٠٠ فقال ماتأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه أو ليس من مذهبكم ان الأخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق المعقول لا يجب ردها والقطع على كذب راويها إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة عجز ولا تأويل وان كان لها ذلك فباعتكراه أو تعسف ولستم ممن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار فماتأويلها ٠٠ الجواب ان الذي يعول عليه من تكلم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول ان الأصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله أصبع حسنة أي قيام وأثر حسن ٠٠ قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله ضَعِيفُ الْعَصَا بِأَيْدِي الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعًا ٠٠ وقال طفيل الغنوي يصف خلاً

كُمَيْتِ كَرُكُنِ الْبَابِ أَحْيَى بَنَاتِهِ مَقَالِيَتَهَا فَأَسْتَحْشِمْتِهِنَّ إِصْبَعُ

•• وقال ليبيد بن ربيعة

مَنْ يَنْسُطِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأَيِّ أَوْلَعَا^(١)
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذَنْبًا مَثْرَعًا

•• وقال حميد بن نور

أَغْرُ كَلُونِ الْبَدْرِ فِي كُلِّ مَنْكِبٍ مِنَ النَّاسِ نَعْمَى تَحْتَدِيهَا وَإِصْبَعُ

•• وقال آخر

وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنُ ذُرٍّ إِصْبَعٍ فِي مَسْبَاهِ وَذُو فِطْنٍ

•• وقال آخر

أَكْرَمُ نَزَارًا وَأَسْقَمُ الْمَشْمَعَا فَإِنَّ فِيهِ خَصَلَاتٍ أَرْبَعًا
حَدًّا وَجُودًا وَنَدَى وَأُصْبَعَا

والأصبع في كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين •• فان قيل هذا قد ذكر كما حكيم إلا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التذنية ههنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لانعمى •• قلنا يجتمل أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة ونعمهما كالجنتين أو كالنوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بان عرفهم بأدلتهم وبراهينهم ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعم الطويل •• ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالأصبع هو من حيث يشار إليه

(١) أنشده في اللسان في مادة ص ب ع

من يجعل الله عليه إصبعًا في الخير أو في الشر يلقاه بها

بالأصبع مجازاً به وتبديلاً عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له به علقته
وقد قال قوم في بيتي طفيل والرامي أنهما أرادا أن يقولاً بدأ في مكان الأصبع لأن اليد
النعمة فلم يكنهما فعديلاً عن اليد إلى الأصبع لانهما من اليد وفي الأصبع التي هي
الجراحة ثمان لغات • أصبَع بفتح الألف والباء • وأصبَع بفتح الألف وكسر الباء
وأصبَع بضم الألف والباء • وأصبَع بضم الألف وفتح الباء • وأصبوع بضم الألف
مع الواو • وإصبِع بكسر الألف والباء • وإصبِع بكسر الألف وفتح الباء • وإصبِع
بكسر الألف وضم الباء • وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو أوضح مما ذكر وأشبهه
بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كتاباتها وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصباع
الإخبار عن تيسر تصرف القلوب وتقليبها والفعل فيها عايشه جلت عظمته ودخول
ذلك تحت قدرته ألا ترى أنهم يقولون هذا الشيء في خصصري وأصبعي وفي يدي وقبضتي
كل ذلك إذا أرادوا تباهه وتيسره وارتفاع المشقة فيه والمؤنة وعلى هذا المعنى يتأول
المحققون قوله تعالى (والأرضُ جميعاً قبضتهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ معاً)
فكأنه صلى الله عليه وسلم لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها
بغير مشقة ولا كلفة وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه فقال أنها بين
أصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل وجرباً على مذهب
العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب أن يكون
مقدماً على الوجه الأول ومعتداً عليه لأنه واضح جلي • ويمكن أن يكون في الخبر
وجه آخر على تسليم ما يترجمه المخالفون من أن الأصبعين هما الخلقان من اللحم
(١) لا ينبغي أن هذه الأجوبة لا مدخلة لها في السؤال ولو كانت فليس ذلك محلاً
له لأن البحث والسؤال ومحامهما في معنى تصرفها كيف شاء وإذا شاء أن يثبتته وإن
شاء أن يقلبه قلبه وما شاء أقام وما شاء أزاغ وأما لها في أمثال معنى هذا الحديث
الشريف مما هو صريح في الخبر ورفع التكليف فإن هذا هو الداء العضال وموضع
انقسام العقول المقال لاني معنى الأصبع وجواز قراءة الأصبوع مما لا يسمن ولا
يفنى من جوع اه من هامش الأصل

والدم استظهاراً في الحجة واقامة لها على كل وجه وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب
يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين بحركة الله تعالى بهما ويقبّله بالفعل فيهما
ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله
تعالى وان كانت جميع أفعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة لانه لا يقدر على الفعل فيهما
وتحريكهما منفردين عما جاورها غيره تعالى فقبل انهما أصبعان له من حيث اختص
بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب
من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً مما يجاوره غيره
تعالى فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم ان الأصابع
هنا اذا كانت الحماؤدماً فهي جوارح لله تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد . . . وعلى
المتأول أن يورد كلما يحتمله الكلام مما لاندفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة
والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما علمه أن يشتهر من الآيات التي استشهدنا بها . . . أما
قوله - حدّاً وجوداً وندياً وأصبعاً - فعنى الحد المضاء والنفاذ وقول الآخر
- وأرزانات ليس فيهن ابن - فالأرزانات العصي والأبن العقدة . . . فأما قول حميد بن نور
- في كل منكب من الناس - فالمنكب الجماعة والمنكب الناحية . . . وأما معنى آيات لييد فانه
أراد من يسق الله اليه خيراً أو يصرف عنه شراً فعل ذلك به وأسبغ له حتى يذهب منتهاه
. . . فأما بيت طنبيل الغنوي فعناه ان هذا الفعل الذي وصفه بأنه كبيت وانه كركن الباب
لثامه وشده لما ضرب في الابل التي وصفها عاشت أولادها التي هي بنانه بعد ان كن
مقاليب والمثلاه التي لا يمش لها ولد فكان هذا منه أراً جيلاً عليها . . . فأما بيت الراعي
فعنى قوله - ضعيف العصا - يريد انه قليل الضرب لها أما لاهن لا يهوجنه سداداً وتأوداً
أو لشفقته عليهن وهذه كناية في نهاية الحسن واختصاره شديداً لانه قد يجوز أن يكون
ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختارها قوية
ويجوز أن يكون حذف وأراد ضعيف فعل العصا . . . وقوله - بادي العروق - يعني عروق
رجله لفسادها من السمي في أثر هذه الابل وأراد - بالأصبع - ان له عليها في جذب
الناس أراً جيلاً لحسن قيامه وتمهده . . . وقد قيل انه انما سمي الراعي لبيت قاله في

هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذي أشدناه وهو
 لها أمرها حتى إذا ما تبوأت بأحقافها ماوى تبوأ مضجعا
 هذا قول الأصمى . . وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضاً
 هذان أخو وطب وصاحب علية يرى المجدان يلتقي جلاء ومرثعا

وروى عن بعض بني نمير انه قال انما سمي بذلك لقوله
 تبيت مرافقهم فوق مزلة لا يستطيع بها القراء مقيلا
 فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ما هو إلا راعي إبل فبقيت عليه . . وقال
 محمد بن سلام انما سمي الراعي لكثرة وصفه الابل وحسن نعتها واسمه عبيد بن
 حصين بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح



مجلس آخر ٢٣

[تأويل آية] . . ان سأل سائل عن قوله تعالى (نهلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)
 ما المراد بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله (ويحذركم الله نفسه) أو
 يخالفه أو يطابق معنى الآيتين والمراد بالنفس فيها مارواه أبو هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال بقول الله عز وجل اذا أحب العبد لثاني أحببت لثاني واذا ذكرني في
 نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خبير منه واذا تقرب الى
 شبرا تقرب اليه ذراداً واذا تقرب الى ذراعاً تقرب اليه باعاً أو لا يطابقه . . الجواب
 قلنا ان النفس في اللغة لها معان مختلفة ووجودها في التصرف متباينة . . فالنفس نفس الانسان
 وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدتها خرج عن كونه حياً ومنه قوله تعالى (كل نفس
 ذائقة الموت) . . والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل فلان نفسه اذا
 تولى فعله . . والنفس الأتفة من قولهم ليس لفلان نفس أي لا أتفة له . . والنفس
 الإرادة من قولهم نفس فلان في كذا أي ارادته . . قال الشاعر

فَنَفْسَايَ نَفْسٌ قَالَتْ أَنْتَ ابْنُ بَجْدَلٍ تَجِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ غَمٍّ تَهَابُهَا
وَنَفْسٌ تَقُولُ أَجْهَدُ نَجَاكَ فَلَا تَكُنْ كَنَاضِيَةً لَمْ يَغْنِ شَيْئًا خِضَابُهَا

ومنه ان رجلا قال للحسن البصري يا أبا سعيد لم أحجج قط فنفس تقول لي حجج و نفس
تقول لي تزوج فقال الحسن أما النفس فواحدة ولكن لك هم يقول حجج وهم يقول
تزوج وأمره بالحجج .. وقال الممزق العبدى و يروى لمعمر بن حمار البارقي

أَلَا مَنْ لَعِينٍ قَدْ نَاهَا حَمِيمُهَا وَأَرْفَنِي بَعْدَ الْمَنَامِ هُمُومُهَا
فَبَاتَتْ لَهَا نَفْسَانِ شَتَّى هُمُومُهَا فَنَفْسٌ تُعَزِّي بِهَا وَنَفْسٌ تَلُومُهَا

.. وقال النمر بن توبل العكلبي

أَمَّا خَلِيلِي فَإِنِّي لَسْتُ مُعْجَلُهُ حَتَّى يُؤَامِرَ نَفْسِيهِ كَمَا زَعَمَا
نَفْسٌ لَهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ تُعْطِي الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرْضَعُ الْغَنَمَا

أراد انه بين نفسيين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن
البخل لان البخيل يرضع اللبن من الشاة ولا يملأها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب .
فيبتدى اليه ومنه قيل لثيم راضع .. وقال كثير

فَأَصْبَحْتُ ذَا نَفْسَيْنِ نَفْسٍ مَرِيضَةٍ مِنْ النَّاسِ مَا يَنْفَكُ هُمْ يَعُودُهَا
وَنَفْسٍ تُرْجِي وَصَلَهَا بَعْدَ صَرْمِهَا تَجْمَلُ كِي يَزْدَادَ غَيْظًا حَسُودُهَا

.. والنفس العين التي تصيب الانسان يقال أصابت فلانا نفس أي عين .. وروى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي فيقول بسم الله أرقبك والله يشفيك من كل داء يؤذيك
وداء هو فيك . من كل عين عان ونفس نافر وحسد حاسد .. وقال ابن الاعرابي
النفس التي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسوداً نفوساً كذوباً
.. وقال عبيد الله بن قيس الرقيات وهو قرشي

يَبْقَى أَهْلُهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا فَعَلَى نَحْرِهَا الرُّقَى وَالتَّمِيمِ

•• وقال مضر بن الفقعسي

وَإِذَا نَمَوْا صُعُودًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
مِنَّا الْخِيَالُ وَلَا نَفُوسُ الْحُسُودِ

•• وقال ابن هريرة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فَأَسْلَمَ سَلِمَتَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالرَّذَى وَعِثَارِهَا وَوُفَيْتَ نَفْسَ الْحُسُودِ

•• والنفس أيضاً من الدباغ بمقدار الدبغة يقول اعطني نفساً من دباغ أي قدر ما أدبغ به

مرة •• والنفس الغيب يقول القائل إني لا أعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل قوله

تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك

•• وقيل إن النفس أيضاً المقبولة من قلوبهم أحذرك نفسي أي عقوبتي وبعض المفسرين

يحمل قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) على هذا المعنى كأنه يحذركم عقوبته •• وروى

ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرين قالوا معنى الآية ويحذركم الله إياه •• وقدرى

عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) ما ذكرناه

من التأويل بعينه •• فإن قيل ما وجه تسمية الغيب بأنه نفس قلنا لا يمتنع أن يكون

الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجهل في ستره

منزلتها وسمى باسمها فقيل فيه أنه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والحفاء وإنما حسن

أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما في نفسك من حيث تقدم

قوله تعالى (تعلم ما في نفسي) ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداءه أن يقول أنا

لا أعلم ما في نفسي الله تعالى وإن حسن على الوجه الأول ولهذا نظائر في الاستعمال

مشهورة مذكورة •• فأما الخبر الذي يرويه السائل فتأويله ظاهر وهو خارج على

مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه أن من ذكرني في نفسه جازيته على

ذكره لي وإذا قرب الي شبراً جازيته على تقربه الي وكذلك الخبر الي آخره فسمى

المجازاة على النبي باسمه اتساعاً كما قال تعالى (وجزاه سيئة سيئة مثلها •• ويمكرون

ويمكر الله •• الله يستهزي بهم) •• وكما قال الشاعر

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدًا عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

ونظائر هذا كثير في كلام العرب ولما أراد تعالى المبالغة في وصف ما فعله به من الثواب
والهجازة على قدره بالكثرة والزيادة كفى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعاً
وذراعاً إشارة الى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها



—*~*~*~*~*~*~*~*~*~*—
مجلس آخر ٢٤

[تاويل آية] .. ان سأل سائل فقال ما تاويل قوله تعالى (إذ جاؤكم من فوقكم ومن
أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) وكيف
يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه
المخلوق فيه مات صاحبه وعن أي شيء زاغت الأبصار وبأي شيء تعلق ظنونهم بالله
تعالى .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه .. منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا
وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بواشهم وبوادهم ومن شأن
الجبان عند العرب اذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سجره
أي رثته وليس يمتنع أن تكون الرثة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو
الحنجرة وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس .. ومنها قيل ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الخزع والهلح
.. قال الشاعر

كَأَنَّ قُلُوبَ أَدِلَّيْهَا مَعْلَقَةٌ بِقُرُونِ الظَّبَّاءِ

.. وقال امرؤ القيس

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَدَارٍ أَنْ ظَلَّتْهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَي قَرْنٍ أُعْفَرَا

ويروي في قدار ظلته أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالتناق والاضطراب ومفارقة
السكون والاستقرار وانما خص الظبي لأن قرنه أكثر تحركاً ونشاطاً واضطراباً لنشاطه
ومرحه وسرعته .. وقد قال بهض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدة أصابته في

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لَمِيَّةٍ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَوَخَاطِبُهُ
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْتُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة وقد أدخلت العرب على كاد جهداً فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان أجودهما قام عبد الله بعد إبطاء ولائي ومثله قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي بعد إبطاء وتأخر لأن وجد ان البقرة عسر عليهم .. وروى أنهم أصابوها ليقيم لآمال له غيرها فاشتروها من وليه بمل جلدتها ذهباً فقال تعالى (وما كادوا يفعلون) إما لأنهم لم يقفوا عليها أو لفلاحتها وكثرة ثمنها .. والوجه الآخر في قولهم ما يكاد عبد الله يقوم أي ما يقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لاحكم لها وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى (إذا أخرج يده لم يكده يراها) أي لم يرها أصلاً لأنه عز وجل لما قال (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) كان بعض هذه الظلمات يحول بين العيون وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر فيكده على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى إذا أخرج يده لم يرها .. وقال قوم معنى الآية إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر لكاتف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكده على هذا الجواب ليست بزائدة .. وقال آخرون معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها لأن ما شاهده من تكاتف الظلمات آيبه من تأمل يده وقرر في نفسه أنه لا يدركها ببصره .. وحكى عن العرب أولئك أصحابي الذين أكا أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم .. وقال الشاعر

كَادَتْ وَكَذَتْ وَتَلَّكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

أي أرادت وأردت .. وقال الأفره الأردى

فَإِنْ تَجَمَّعُ أَوْ تَادُ وَأَعْمِدَةٌ وَسَا كُنْ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

أي أرادوا .. وقال بعضهم معنى قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) أي أردنا ليوسف .. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف .. ومما يشهد

لمن جعل لفظه يكذ زائدة في الآية . . . قول الشاعر

سَرِيعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَالِكٌ سِلَاحُهُ فَمَا أَنْ يَكَاذُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ

أى فما ان يتنفس قرنه ويكاذ مزيدة للتوكيد . . . وقال حسان

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيَّ فَرَاشَهَا فِي جِسْمِ خَزَعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

ومعناه وتكسل أن تجي فراشها . . . وقال الآخر

وَالْأَلْوَمُ النَّفْسَ فِيمَا أَصَابَنِي وَالْأَكَاذُ بِالَّذِي نَلْتُ أَنْجَحُ

أى لا أنجح بالذى نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً . . . وروى عبد

السمد بن المعدل بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو ارمة الكوفة

فأنشدنا بالكناية وهو على راحته قصيدته الحائية التي يقول فيها

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْذُ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مِيَّةٍ يَرْحُ

فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح ياذا الرمة ففكر ساعة ثم قال

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مِيَّةٍ يَرْحُ

قال فأخبرت أبى بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال أخطأ

ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقول

عز وجل (إذا أخرج يده لم يكذ يراها) أى لم يرها . . . فأما قوله عز وجل (إن

الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس) فيحتمل أن يكون المعنى أريد إخفاءها

لكي تجزي كل نفس بما نسي ويجوز أن تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية

أخفيها لتجزى كل نفس . . . وقد قيل فيه وجه آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله

تعالى (إن الساعة آتية أكاد) ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى

(أخفيها لتجزى كل نفس) . . . ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابطي البرجمي

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَابْتَنَيْتُ تَرَكْتُ عَلِيَّ عَشْمَانَ تَبْكِي حَلَالَةً

أراد وكدت أفعله حذف الفعل لبيان معناه . . . وروى عن سعيد بن جبيرة انه كان يقرأ

أُكَادُ أَخْفِيهَا فَمَعْنَى أَخْفِيهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَظْهَرُهَا . . . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الطَّيِّبِ يَسْفُ نُوراً
 يَخْفَى التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسْهِنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ
 أَرَادَ أَنَّهُ يَظْهَرُ التُّرَابَ وَيَسْتَخْرِجُهُ بِأُظْلَافِهِ . . . وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ
 فَإِنْ تَدَفَنُوا الذَّاءَ لَا تَخَفُهُ وَإِنْ تَبَعَثُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدُ

أَي لَا يَظْهَرُهُ . . . وَقَالَ النَّابِغَةُ

تَخْفَى بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسُ الْكَيْبِ تَدَاعَى التُّرَابُ فَأَنْهَدَمَا
 وَقَدْ رَوَى أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ أُخْفِيَتِ الشَّيْءُ بِمَعْنَى سَتَرَتْهُ وَأَخْفَيْتُهُ بِمَعْنَى أَظْهَرَتْهُ وَكَأَنَّ الْقِرَاءَةَ
 بِالضَّمِّ مَحْتَمَلَةٌ لِأَمْرَيْنِ الْإِظْهَارِ وَالسِّرِّ وَالْقِرَاءَةُ بِالرَّجَاءِ لَا يَحْتَمَلُ غَيْرَ الْإِظْهَارِ وَإِذَا كَانَتْ
 بِمَعْنَى الْإِظْهَارِ كَانَ الْكَلَامُ فِي كَادٍ وَاحْتِمَالًا لِأَرْجُوهُ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا كَالْكَلَامِ فِيهَا
 إِذَا كَانَتْ بِمَعْنَى السِّرِّ وَالنَّعْطِيَّةِ . . . فَان قِيلَ فَأَي مَعْنَى لِقَوْلِهِ إِنِّي أَسْتَرْتُهَا لِتَجْزِي كُلِّ
 نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى وَأَظْهَرْتُهَا عَلَى الْوَجْهِينِ جَمِيعاً وَأَي ذِيَّةٌ فِي ذَلِكَ . . . قَالْنَا الْوَجْهَ فِي هَذَا
 ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا سَتَرَ عَنَّا وَقَدْ سَاعَتْ كَانَتْ دَوَائِبُنَا إِلَى فِعْلِ الْحُسْنِ وَالْقَبِيحِ مُتَرَدِّدَةً
 وَإِذَا عَرَفْنَا وَقْتَهَا بِعَيْنِهِ كُنَّا مَدْبُوعِينَ إِلَى التَّوْبَةِ بِمَدِّ مَقَارِفَةِ الذُّنُوبِ وَتَفْضِ ذَلِكَ الْغَرَضِ
 بِالتَّكْلِيفِ وَاسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ بِهِ فَصَارَ مَا أُرِيدُ بِهِ مِنْ الْجَزَاءِ لِلتَّكْلِيفِ بِسَعِيهِمْ وَإِنصَالِ
 ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ بِمَنْعٍ مِنْ إِطْلَاعِهِمْ عَلَى وَقْتِ انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لِنَفْطَةِ
 أَخْفِيهَا بِمَعْنَى الْإِظْهَارِ فَوَجْهَهُ أَيْضاً وَاضِحٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَقِيمُ الْقِيَامَةَ وَيَقْطَعُ التَّكْلِيفَ
 لِيَجْزِيَ كُلَّ بَاسْتِحْقَاقِهِ وَيُوفِّي مَحْتَقِ الثَّوَابِ ثَوَابَهُ وَيُعَاقِبُ الْمُسِيءَ بِاسْتِحْقَاقِهِ فَوْضَحَ
 وَجْهَ قَوْلِهِ تَعَالَى (أُوَكِّدُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى) عَلَى الْمَعْنِيَيْنِ جَمِيعاً [قَالَ
 الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] . . . وَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ الْإِسْبَارِيَّ يَطْعُنُ عَلَى جَوَابِ مَنْ
 أَجَابَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) بِأَنَّ مَعْنَاهُ كَادَتْ تَبْلُغُ الْحَنَاجِرَ وَيَقُولُ
 كَادَ لَا تَسْمُرُ وَلَا يَدُ أَنْ يَكُونَ مِنْطُوقاً بِهَا وَلَوْ جَازَ ضَمُّهَا لَجَازَ أَنْ يَقَالَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
 بِمَعْنَى كَادَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُومُ فَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يَقَمْ عَبْدُ اللَّهِ لِأَنَّ مَعْنَى كَادَ عَبْدُ اللَّهِ
 يَقُومُ لَمْ يَقَمْ وَمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ غَيْرُ مَعْجُوبٍ وَنَظَرْنَا أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الْعَلْمِ فِي هَذَا الْوَجْهِ

حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وان تعسف في
الطعن عايه والذي استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر في مواضع ويقنضها بعض
الكلام وان لم تكن في صريحه ألا ترى أنهم يقولون أوردت على فلان من العتاب
والتوبيخ والتقريع مامات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح
وما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من اضمار كاد فيه . . وقال جرير
إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي ظُرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُجَيِّبَنَّ قَتْلَانَا

وانما المعنى انهم كذبوا بقتلنا فهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره وليس يمنع
فأما قوله - يجيبين قتلانا - فالأظهر في معناه انهم لم يزلوا يفعلان ما قاربنا عنده الموت والقتل
من الصدود والهجر وما أشبه ذلك وسمى هذه الأمور حياة كما سمي اضدادها قتلا
وقد قيل ان معنى يجيبين قتلانا انهم لم يبدوا قتلانا من الدية لان دية القتل عند العرب
كالجياة له وقد روي ثم لم يجيبين قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا يحصل
ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمنع أن يقال قام فلان بمعنى
كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت . . فأما قوله فيكون
تأويل قوله قام عبد الله لم يقم عبد الله خطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن
بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله وأراد كاد يقوم فقد أفاد ما لا يفيد
لم يقم . . وأما قوله تعالى (زأغت الأيسار) فعناه زأغت عن النظر الى كل شئ فلم تأنفت
إلا الى عدوها ويجوز أن يكون المراد بزأغت أي جارت ومالت عن الفصد في النظر
دهشاً وتحيراً . . فأما قوله تعالى (وتظنون بالله الظنون) معناه انكم تظنون مرة انكم
تنصرون وتظهرون على عدوكم ومرة انكم تبطلون وتمتنحون بالنخلة بينكم وبينهم
ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف
ما وعدكم الله تعالى به من النصرة وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكايه عنهم
(ما وعدنا الله ورسوله إلا ضروراً) وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى
عز وجل عنهم في قوله (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وكذا ذكرناه
واضح في تأويل الآية وما تعلق بها

﴿ مجلس آخر ٢٥ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتاً) فقال اذا كان السبت هو النوم فكأنه قال وجعلنا نومكم نوماً وهذا بما لافائدة فيه ٠٠ الجواب قيل له في هذه الآية وجوه ٠٠ منها أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة ٠٠ وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كلهم كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى أمر بني اسرائيل فيه بالراحة من الأعمال قيل وأصل السبات التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلت من العقص وأرسلته ٠٠ قال الشاعر

وإن سببته مال جثلاً كأنه سداً وأهلات من نواسج خثماً

أراد إن أرسلته ٠٠ ومنها أن يكون المراد بذلك النقطع لان السبت النقطع والسبت أيضاً الخلق يقال سبت شعره سبتاً اذا حلقه وهو يرجع الى معنى النقطع والتعال السببية التي لا شعر عليها ٠٠ قال عنزة

بطل كأن ثيابه في سرحه يحدى نعال السبت ليس بتوأم

ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتي فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم سباتاً أي قطعاً لأعمالكم وتصرفكم ٠٠ ومن أجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى النقطع ٠٠ وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة ان الله ابتداء في يوم الأحد وكان الخلق في يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل النوراة ٠٠ وقال آخرون ان الابتداء كان في يوم الاثنين الى السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الانجيل ٠٠ فأما قول أهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان يوم السبت وانصل الى يوم الخميس وجمعت الجمعة عيداً فعلى هذا القول الآخر يمكن

أن يسمي اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بمض خالق الأرض .. فقد روى أبو هريرة
 عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الله تعالى خالق البرية يوم السبت وخالق
 فيها الجبال يوم الأحد .. ومنها أن يكون المراد بذلك إنا جعلنا نومكم سباتاً ليس
 بموت لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت فأراد
 تعالى أن يمتن علينا بأن جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس
 بموت على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحياة والادراك فجعل التأكيذ بذلك المصدر
 قائماً مقام نفي الموت وساداً مسدداً قوله تعالى وجعلنا نومكم ليس بموت .. ويمكن
 أن يكون في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السبات ليس هو كل نوم وإنما هو
 من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون
 ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم أنه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم
 وإذا كان الأمر على هذا لم يجز قوله (وجعلنا نومكم سباتاً) مجرى أن يقول وجعلنا
 نومكم نوماً .. والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتداً طويلاً ظاهراً وهو لما في
 ذلك لنا من المنفعة والراحة لأن التهويم والنوم الفرار لا يكسبان شيئاً من الراحة بل
 يصحبهما في الأثر كثر الفراق والازطاج والهدوم وهي التي تقلل النوم وتزده وفراغ القلب
 ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح .. [قل المرتضي] رضي الله
 عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه أولاً
 ويقول إن ابن قتيبة أخطأ في اعتياده لأن الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل
 بمعنى استراح وأراح ويعتمد على الجواب الذي ثبتنا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن
 قتيبة من قولهم سبت المرأة شعرها إن معناه أيضاً التقطع لأن ذلك إنما يكون بإزالة
 الشدائد الذي كان مجموعاً به وقطعه .. والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يتدح في
 جواب ابن قتيبة لأنه لا ينكر أن يكون السبات هو الراحة والدعة إذا كانتا عن نوم
 وإن لم توصف كل راحة بأنها سبات ويكون هذا الاسم يختص الراحة إذا كانت على
 هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت
 الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أن السبات لا يكون إسماً للراحة عند النوم

والذي يفتى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر أو لغظة فإن البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال . . . فإن قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً قلنا الفرق بينهما يتبين لأن ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجمله عبارة عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا أن يقال سبت الرجل بمعنى استراح لأن الشيء لا يسمى بما يقع عليه حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس السبات إياها بعينها على أن في الجواب الذي اختاره ابن الأنباري ضرباً من الكلام لأن السبت وإن كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في أثبات مثل هذا البناء إلى سماع عن أهل اللغة وقد كان يجب أن يورد من أي وجه إذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

[تأويل خبر] . . . أن قال قائل ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه . . . وفي رواية أخرى أن الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه . . . وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبه أيضاً فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نبح عليه فإنه يعذب بما نبح عليه . . . الجواب أنا إذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الانساع والمجاز قبح من أخذه أحد بذنب غيره وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فلا بد أن نصرف مظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطابقها . . . والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها أن صحت روايتها أنه إذا أوصى موسى بن يناح عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فإنه يعذب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها أنه يؤخذ بفعل النواح وإنما معناه أن يؤخذ بأمره بها ووصيته بفعلها وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأن الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ويؤكفون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم . . . قال طرفة بن العبد

فإن مت فأعيني بما أنا أهله وشقي علي الجيب يأم معبد
 •• وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة
 فمن يك سائلاً عن بيت بشر
 فإن له يجنب الرذم بابا
 ثوى في ملحد لا بد منه
 كفى بالموت نأياً وأغتراباً
 رهين بلى وكل فتى سبلى
 فأذري الدمع وانتحي انتحاباً

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودى فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره •• وقد روى ابن بكار هذا الخبر أيضاً عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أخبرت بروايته وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر إنما قال عليه الصلاة والسلام ان أهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه •• [قال المرتضى] رضى الله عنه يعنى - وهل - أى ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وهلت الى الشئ فأنا أهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه أهل وهلاً أى نيتته وغالطت فيه ووهل الرجل بوهل وهلاً اذا فزع والوهل الفزع •• فأما - القليب - فهي البئر والجمع القلاب •• قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا
 قَدَفْنَا هُمْ كَبَابَ فِي الْقَلِيبِ
 أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا
 وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقَلُوبِ

•• وقال آخر يبيكي على قتلى بدر من المشركين

فإذا بالقليب قليب بدر
 من الفتيان والشرب الكرام
 وماذا بالقليب قليب بدر
 من الشيزى يكلل بالسنام

وموضع وهله في ذكر القليب انه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ثم قال انهم ليسمعون ما أقول فأنكر ذلك عليه وقبل انما قال عليه الصلاة والسلام انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت أقوله لهم هو

الحق واستشهد بقول الله عز وجل (إنك لا تُسمع الموتى) وأهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم ٥٥ وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائماً يصلي بمكة وأناس من قريش في حلقة فيهم أبو جهل بن هشام فقال ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التي نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى إذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث أشقى القوم وأنا أنظر إليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله لو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة رضوان الله عليها عليه وهي يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤسهم فأوسسهم شتماً قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضعك حتى أنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا عليهم أسقط في أيديهم قال فوالله الذي لا إله غيره ما سمى النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلا وقد رأيت يوم بدر وقد أخذ برجله يجره إلى القليب مقتولاً وقوله فيأخذ سلاها أي جلدتها التي فيها ولدها مادام في بطنها والجمع الأسلاء ٥٥ وقال ابن حبيب الأسلاء التي فيها الأولاد ٥٥ قال الأخطل

وَيَطْرَحَنَّ بِالثَّغْرِ السِّخَالَ كَأَنَّمَا يُشَقِّقَنَّ بِالْأَسْلَاءِ أَرْذِيَةَ الْعَصَبِ

٥٥ وقال النماخ

وَالعَيْسُ دَامِيَةٌ الْمَنَاسِمُ ضَمْرٌ يَقْدِفَنَّ بِالْأَسْلَاءِ تَحْتَ الْأَرْكَبِ

٥٥ قال الفراء سقط في أيديهم من الندامة وأسقط لغتان وهو بغير ألف أكثر وأجود ٥٥ ويمكن أن يكون في قوله يعذب ببكاء أهله وجه آخر وهو أن يكون المعنى إن الله تعالى إذا أعلمه ببكاء أهله وأعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهلم تألم بذلك فكان عذاباً له والعذاب ليس بجارٍ مجرى العقاب الذي لا يكون إلا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر ألا ترى أن القائل قد يقول لمن ابتدأه بالضرر والألم قد عذبتني بكذا وكذا كما يقول أضرتني وآلمتني وإنما لم يستعمل

العقاب حقيقة في الايلام المبتدأ من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يدخله عمله الجنة ويخيه من النار قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل بقولها ثلاثاً .. فقال أليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك .. الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى اللطافة وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو أخرج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد ان أحداً لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا أرشده اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه .. فأما الثواب فما نأبى القول بأنه فضل بمعنى ان الله تعالى فضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شئ ابتداءً وإنما يجب عليه ما أوجبه على نفسه فالثواب مما كان أوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين والإلطاف وكما يجلبه ويوجبه التكليف ولو لا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب .. فان قيل فقد سمي الرسول عليه الصلاة والسلام ما يفعل به فضلاً فقال إلا أن يتغمدني الله برحمته منه .. وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه الصلاة والسلام برحمته منه وفضل على ما يفعل به من اللطافة والمعونات فهي أيضاً فضل وتفضل لان سببها غير واجب .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام يتغمدني الله فعنه يسترني يقال غمدت السيف في غمده اذا سترته .. قال الشاعر

نَصَبْنَا رِمَاحًا فَوْقَهَا جِدًّا عَامِرٍ كَطَلِّ السَّمَاءِ كُلِّ أَرْضٍ تَغْمَدًا

فالجِدُّ - هنا البخت والحظ وشبه ما قسم لعا من الغابة والظفر بظل السماء الذي يستر كل شئ ويظهر عليه .. أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن حنيفاء قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد

ابن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرم
الله والمهور هو المكروب وأنشدنا

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَنْزَابِ
ثُمَّ قَالُوا نَحْبَهَا قَلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ

[قال المرتضى] .. رضى الله عنه وقد قيل في معنى قوله بهر أغير هذا الوجه .. أخبرنا
أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني أحمد بن يحيى الصولي قال حدثنا
القاسم بن اسماعيل قال حدثنا الثوري عن أبي عمر الأسدی قال سمعت أبا عمرو بن العلاء
يقول عمر بن ربيعة حجة في العربية وما أخذ عليه شيء الا قوله - ثم قالوا نحبا قلت بهرأ -
وله فيه عذر ان أراد الخبر لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت نحبا على جهة الاخبار منهم
لا الاستفهام فوكه هو إخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهراً يجوز أن يكون أراد نعم حباً
بهرفى بهراً ويكون أيضاً بمعنى عقراً وتعباً ودعا عليهم إذ جهلوا من حبه لها ما لا يجهل
مثله .. وأنشد أبو عمرو بن العلاء

لَحَا اللَّهُ قَوْمِي إِذْ يَبِيعُونَ مَهْجَتِي بِجَارِيَةِ بَهْرًا لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْرًا

.. قال أبو عمرو يكون بهراً بمعنى ظاهراً يريد حباً ظاهراً من قولهم قره باهر .. وقد
روى بعض الرواة انه قال - قيل لي هل نحبا قلت بهرأ - وارواية الأولى هي المشهورة
ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن
أبي ربيعة الخزومي من جملة أبيات منها

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بَأْنِي ضَمَيْتُ دُرْعًا بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءَ الشَّبَابِ
سَلَبْتَنِي عَجَاجَةُ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلَوْهَا بِمَا يَحِلُّ أَعْتَصَابِي
أَزْهَمْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ رَعَمْتُهَا مَهْجَتِي مَا لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ

حينَ قالتَ لها أجيبي فقالتُ
 من دعائي قالت أبو الخطاب
 أبرزوها مثل المِائة تهادي
 بين خمس كواعب أترب
 ثم قالوا تحبها قلتُ بهراً
 عدد القطر والحصى والتراب

والثريا هي التي عنها عمر أموية وقد اختلف في نسبها فقيل أنها الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر أبو عبد شمس وقيل أنها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وذكر الزبير بن بكار أن الثريا هي بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي . . . وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفاح قال خبرني بلال بن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريا اختصرناه وأوردنا بعضه قال لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر - من رسولي إلى الثريا باني - قال إياي أراد وبني نوءه لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص إليه لا صاح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الدئل بن أبي بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم بها فقلت له استوضعهم شيئاً أو دعني أما كسهم فقد استطلوا فقال لي ويحك أما علمت أن المكاس ليس من خلق الله الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فسار سيراً شديداً فقلت له ارفق على نفسك فإن من تريد لا يفوتك فقال ويحك - أبادر جبل الود أن يتفضضا - ومن ملح الدنيا أن يلتئم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلاً غير محرمين فذق على عمر بابه فخرج إليه فسلم عليه فما نزل ابن أبي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب أصلح يدك وبين الثريا فاني رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك فحنتك به معترفاً بذنب لم يجنه معتذراً من اساءتك إليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وكررنا راجعين إلى المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة . . . وفي الثريا يقول عمر

ابن أبي ربيعة أيضاً لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنى بأبي الأبيض
وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سَهِيلاً عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلْتُ وَسَهِيلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي



—*—*—*—*—*—
مجلس آخر ٢٦

[تاويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (فغشيه من اليم ما غشيه) فقال
ما الفائدة في قوله ما غشيه وقوله غشيه بدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيه لا يكون
إلا الذي غشيه وما الوجه في ذلك ٠٠ الجواب قد ذكر في هذا أجوبة ٠٠ أحدها
أن يكون المعنى فغشيه من اليم البعض الذي غشيه لانه لم يغشه جميع ماء بل غشيه
بعضه فقال ما غشيه ليدل على ان الذي غشههم بعض الماء وانهم لم يفرقوا بجميعه وهذا
الوجه حكي عن الفراء وذكره أبو بكر الانباري واعتمده وغيره أوضح منه واليم هو
البحر ٠٠ قال الشاعر

وَبَنِي تَبَعٍ عَلِيٍّ يَمِّ قَصْرًا عَالِيًّا مُشْرِفًا عَلَى الْبُنْيَانِ

٠٠ وثانها أن يكون المعنى فغشيه من اليم ما غشى موسى وأصحابه وذلك ان موسى
عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيه كلهم إلا
أن فرعون وقومه لما غشيه غرقهم وموسى عليه الصلاة والسلام وقومه جعل لهم في
البحر طريق يبس فقال تعالى فغشى فرعون وقومه من ماء اليم ما غشى موسى وقومه
فنجوا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا الوجه والتاويل تكون الهاء في قوله ما غشيه كناية
عن غير من كنى تعالى عنه بقوله فغشيه لان الأولى كناية عن فرعون وقومه والثانية
كناية عن موسى وقومه ٠٠ وثالثها انه غشيه من عذاب اليم وإهلاكه لهم ما غشى
الأمم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على رد أقوالهم

والعدول عن ارشادهم والأثم السالفة وان لم يغشهم الهلاك والعذاب من قبل البحر
فقد غشهم عذاب واهلاك استحوطوا بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم فشبه بينه وبين هؤلاء
من حيث اشتغال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب .. ورابعها أن يكون المعنى
فغشهم من قبل اليم ماغشهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشهم الاولى للبحر
وانثانية للهلاك والعطب للذين لحقاهم من قبل البحر .. ويمكن في الآية وجه آخر لم
يذكر فيها وهو واضح بلبق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن تكون
الفائدة في قوله تعالى (ماغشهم) تعظيم الأمر وتفضيحه كما يقول القائل فعل فلان
ما فعل وأقدم على ما أقدم اذا أراد التفضيح وكما قال تعالى (وفعلت فعلتك التي فعلت)
وما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وأنت أنت وفي
القوم هم هم .. قال الهذلي

رَقُونِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تَرْغُ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمُ هُمُ

.. وقال أبو النجم

أنا أبو النجم وشعري شعري

كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره



❦ مجلس آخر ٢٧ ❦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (نخر عليهم السقف من
فوقهم) فنال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو يفيد قوله نخر عليهم السقف لان
مع الاقتصار على القول الأول لا يذمب وهم أحد الى أن السقف ينخر من تحتهم .. الجواب
قيل له في ذلك أجوبة .. أولها أن يكون من بمعنى عن فيكون المعنى نخر عنهم السقف من
فوقهم أي خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن
دواء شربه فيكون من وعن بمعنى واحد أي من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية

نخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم .. قال الشاعر

أزْمِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرَعٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعُ

أراد أرمي عنها لأن كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى نخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر وليس هم تحته .. ونانها أن يكون على بمعنى اللام والمراد نخر السقف فان على قد تقام مقام اللام .. وحكي عن العرب ما أغبظك على وما أغمك على يريدون ما أغبظك لي وما أغمك لي .. قال الطرِّمَّاح يصف ناقة

كَأَنَّ مَجْرَاهَا عَلَى ثَفَنَاتِهَا مَعْرَسٌ خَمْسٌ وَقَعَتْ لِالْجَنَاجِنِ (١)

أراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على .. وقد يقول القائل أيضاً تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد أنه كان تحته فأخبر تعالى بقوله (من فوقهم) عن قائد لولاء ما فهمت ولجاز أن يتوهم متوهم في قوله نخر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عليه ربه ووقعت عليه دابته وأشبه ذلك .. وللعرب في هذا مذهب طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ألا ترى أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيخته بدلا من قولهم خربت عليه ضيخته ولا ولدت عليه

(١) - الثفنات - جمع ثفنة بفتح فكسر وهو من البعير ركبته وما مس الأرض من كركرتة وسعدانته وأصول أخذته - والمعرس - محل التعريس وهو النزول آخر الليل يريد محل مبيتها وبعده

وقعن أنتنين وأنتنين وفردة يبادرن تغليسا - بهال المداهن

- السهال - جمع سملة وهي بقية الماء في الحوض - والمداهن - جمع مدهن وهي نقر في رؤس الجبال يستنقع فيها الماء وقد سبق الى هذا المعنى ذو الرمة فقال

كان مجراها على ثفناتها معرس خمس من قطا متجاور

وقعن أنتنين وأنتنين وفردة جريدا هي الوسطى بصحراء حار

(٤ - أمالي ثاني)

جاريته بل يقولون عمرت له ضبعته وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا قل
 على وروى على فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عتي وروي
 عتي ومثل ذلك قوله تعالى (واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان) لانهم لما
 اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن أن يقال نتلو عليه ولو كان خيراً لقبيل
 عنه ومثله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقوله (أتقولون على الله مالا
 تعلمون) . . . وقال الشاعر

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِي لِيَحْيِي فَقَالَ غَشَّشْتَنِي وَالنُّصْحُ ضُرٌّ
 وَمَالِي لَا أَكُونُ أَعِيبُ يَحْيِي وَيَحْيِي طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرٌّ
 وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيِي يُقَالُ عَلَيْهِ فِي تَفْعَاءِ شَرٌّ
 فَقُلْتُ لَهُ تُجَنَّبُ كُلُّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ

ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن سعدان المعروف بعنبرة الفيل وقد كان يتبع شعره
 ويخطئه ويلحنه^(١)

(١) - قلت - كان عنبرة يعيب على الفرزدق ، مثل قوله

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال الامسحتاً أو مجلف

- المسحت - المبدد - والمجلف - الذي ذهب به السنون وكان الفرزدق لحانة على
 جودة شعره وكان غافلاً لا يمترض عليه أحد الا هجاء وقد سأله بعضهم عن رفع مجلف
 في البيت فغضب وقال على أن أقول وعليكم أن نمتجوا وأنكر عليه عبد الله بن أبي
 اسحاق الحضرمي قوله

مستقبلين شام نضربنا بحاصب من نديف القطن منشور
 على عمائمنا ناتي وأرحلنا على زواحف تزجي عن رير

فقال الا قلت (على زواحف تزجيها محاسير) فغضب وقال

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

لقد كان في معدان والفيل زاجرٌ لعنيسة الراوي علي القصاصدا

فقال علي ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه .. وثالث الوجوه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيذا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) والقلب لا يكون إلا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثير وفي كلام الأدب أيضاً والله أعلم

[تأويل خبر آخر أيضاً] .. إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي اسحاق الهجري عن أبي الأحوس عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن مأدبة لله تعالى فتعمدوا مأدبته ما استطعتم وان أصفر البيوت لبيتاً أصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه .. الجواب المأدبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو اليه الناس فشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائده اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو أدب اذا دعا الناس الى طعامه وشرا به ويقال للمأدبة المدعاة وذكر خوف الأحمر انه يقال فيه أيضاً مأدبة بفتح الدال .. قال طرفة العبدى

نحن في المَشْتَاة نَدْعُو الجَفَلَى لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

ومعنى - الجفلى - أنه عم بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم .. والنتقري إذا خص بها بعضاً دون بعض ومعنى - ينتقر - من التقري .. قال بهض هذيل

وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرْتِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمَثْرِينَ دَاعِيَهَا

لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيَهَا

معنى - يصطلى بالفرت جازرها - أن الجازر اذا شق فيها الكرش أدخل يده لشدة البرد في الفرت مستدفئاً به ومعنى - يختص بالنقري المثرين داعيها - أنه يخص بدعائه الى طعامه الأغنياء الذين يطعم من جهنم في المكائنة .. وقال الآخر

قَالُوا ثَلَاثَاوَهُ خِصْبٌ وَمَأْدُبَةٌ وَكُلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ

•• وقال الهذلي بصف عقاباً

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفٍ وَكَرِهًا نَوَى الْقَسْبِ مُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ (١)

أراد جمع مأدبة •• وقد روى هذا الحديث بفتح المأدبة •• وقال الأحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم •• وقال غيره المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب معناه ان الله تعالى أنزل القرآن أدباً للخلق وتقويماً لهم وانما دخلت الهاء في مأدبة ومأدبة والقرآن مذكر لمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس •• وكما قال عنزة

وَالْكَفْرُ مُحِبَّةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعَمِ

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالهداية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالهيمه •• ويقال لطعام الاملاك ولحمة ولطعام الختان العذيرة ولطعام الزفاف العرس ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من السفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذي تطعمه النفساء نفسها الخرسه •• قال الشاعر

إِذَا النَّفْسَاءُ لَمْ تُخْرِسْ يَبْكُرْهَا غُلَامًا وَلَمْ تُسَكِّتْ بِحَتْرِ فُطَيْمِهَا

- الحتر - الشيء القليل •• وقال آخر

كُلَّ الطَّعَامِ تَشْتَهِي رَبِيعَةَ الْعَرِسِ وَالْإِعْذَارُ وَالنَّقِيعَةُ

ويروى الخرس •• ويضد أيضاً في النقيعة قول الشاعر

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُسَهُمْ ضَرْبَ الْقِدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ

- القدار - الجزار - والقدام - جمع قادم •• وقال أبو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة •• وقال الفراء

(١) - القسب - بفتح فسكون الياس من النمر

الشيخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس .. وقال أبو زيد يقال من النقيعة نعت ..
 وقال الفراء منها أنعت .. وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعال به قدام الغداء

السلفة والاهنة لهنوا ضيفكم أي أطعموه الاهنة .. قال الشاعر

عَجِيزٌ عَارِضُهَا مُنْفَلٌ طَعَامُهَا اللَّهْنَةُ أَوْ أَقْلٌ

.. وقال ابن السكيت يقال فلان يأكل الوجبة اذا كان يأكل في اليوم واللبيلة أكلة

.. قال بشار

فَاسْتَنْزَنَ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لِأَمْرِى ذَهَبَهُ

.. وقال ابن السكيت قل الأصمى لرجل أسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت
 آكل الوجبة وأنجو الوقعة وأعرس اذا فجرت وأرنحل اذا أسفرت وأسير الوضع
 وأجنب اللع فجنسكم لسي سبع .. قوله - أنجو الوقعة - معناه أقضي حاجتي مرة في

اليوم وهو من النجو .. وقوله - أسير الوضع - فالوضع سير فيه بهض الاسراع والممع
 سير أشد منه وأراد انه يجنب الشديد من السير كراهة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ
 الأرض التي يقصدها يقال شر السير الحقة أى السير الشديد الذى يقطع صاحبه

عن بلوغ بغيته .. قال الشاعر

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَبَاعَدْتَ عَلَيْكَ فَضَعَّ رَحْلَ الْمَطِيِّ وَأَنْزَلَ

أى استرح حتى تقوى على السير وان جهدت نفسك لم تقطع أرضاً ولم تبق ظهراً وهذا
 من أبيات المعاني التي يسأل عنها والذي قيل فيه ما ذكرناه .. ويمكن أن يكون معنى البيت
 اذا بعدت عليك الأرض فدعها واسل عنها كما يقال دواء ماعز معالجه الصبر وما جرى
 مجرى ذلك من ألفاظ التسمية والأمر بالعدول عن تتبع ما صعب من الأمور .. وقال

الآخر في معنى البيت الأول

يُقَطِّعُ بِالنُّزُولِ الْأَرْضَ عَنْهَا وَيُعْدُّ الْأَرْضَ يَقْطَعُهُ النُّزُولُ

وقوله - لسي سبع - أي مساء سبع ليال .. ويقال للذى يحضر طعام القوم من غير
 أن يدعأ اليه الوارش والوروش وقول العامة طنبلى . ولد لا يوجد في العتيق من كلام

العرب وأصل ذلك أن رجلاً يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد وليمة من غير أن يدعى إليها طفيل للوارش طفيلي تشبهاً بطفيل هذا في وقته . . . ويقال للذي يحضر الشراب من غير أن يدعى إليه واغل . . . قال امرؤ القيس

فاليومَ فاشربَ غيرَ مستَحَقِّبٍ إثمًا من الله ولا واغلي

ويقال لما يشربه الوغل . . . قال الشاعر

إن الكُسكِيرَ أفلاً شرب الوغسل ولا يسلم مني البعيرُ إن نشزاً

وقوله صلى الله عليه وسلم إن أصفر البيوت ليتنا صفر من كتاب الله معناه أخلا البيوت - والصفر - عند العرب الخالي من الآنية وغيرها . . . ويمكن في قوله مادبة وجه آخر وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمادبة وتسميته بها من حيث دعاء الخالق إليه وأمرهم بالاجتماع عليه فسماه عليه الصلاة والسلام مادبة لهذا الوجه لأن المادبة هي التي يدعى الناس إليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الأول لأن الأول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينفع المدعو إلى المادبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء إليه والارشاد إلى أصابته وليس يبعد أن يريد عليه الصلاة والسلام بالخبر المغنيين معاً فلا تنافي بينهما . . . أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كنا في مجلس الأصبعي إذ أقبل امرأبي فقال أين عهدتكم فأشربنا إلى الأصبعي فقال له ما معنى قول الشاعر

لَا مَالَ إِلَّا الْعِطَافُ تُوْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ وَأَبْنَةُ الْجَبَلِ
لَا يَرْتَمِي النَّزْفِي دَلَاذَاهُ وَلَا يُعَدِّي نَعْلِيهِ مِنْ بَلَلِ

. . . فقال الأصبعي

عُصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضْمَنُهَا لَصَبٌ تَلْقَى مَوْضِعَ السَّبَلِ
أَوْ وَجِبَةٌ مِنْ جَنَازَةِ أَشْكَالَةٍ إِنْ لَمْ يَرْعَهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تَنْلِ

قال فادبر الاعرابي وهو يقول لم أر كاليوم رجلاً •• قال ابن دريد انما وصف رجلاً خائفاً في رأس جبل يقول لا مال له إلا العطاف وهو السيف تومزره أم ثلاثين يعني كنفانة فيها ثلاثون سهماً وابنة الجبل يعني القوس لأنها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره •• وقوله - لا يرتقى النز في ذلذه - لأنه في رأس جبل فلا نزهتك يتعلق بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعدي نعليه عنهما - والعصرة - الملجأ - والنطفة - الماء المجتمع في صخر أو غيره من بقية ماء المطر - والاصب - الشق في الجبل أضيق من الابهب وأوسع من الثقب - والسبل - المطر - والوجبة - أن يأكل كل يوم مرة - والأشكل - الصدر الجلي واحد أشكلة •• يقول فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة عصرناه •• وقوله - ان لم يرعها بالفوس - يعني انها لا تنال باليد حتى تحرك بالفوس •• [قال المرتضي] رضى الله عنه وانما جعل الأسمعي انشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها والأعرابي انما سأل عن المعنى فأقام انشادها لها مقام تفسيرها واستغنى الأعرابي بذلك وعلم باتمامه للأبيات معرفته بمعناها وكان الأسمعي كثيراً اذا أنشد شيئاً من الشعر ينشد في معناه في الحال •• فن ذلك أن اسحاق بن ابراهيم الموصلي أنشده يوماً لنفسه

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي وقام بنصري حازم وابن حازم
عطست بأنفٍ شامخٍ وتناولت يدائي الثرياً قاعداً غير قائم

•• قال فلما فرغت من انشادهما أنشدني بعقب ذلك

ألا أيها السائل جاهلاً لتعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بنى عامرٍ فروعي وأصلي قریش العجم

قال نجاء والله بالشعر الذي نحوته وعملت بيتي عليه •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال ما أنشدت الأسمعي شيئاً قط إلا أنشدني مثله كأنه أعد له لي فأنشدته يوماً للأعشى

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَعَلَّقْتَ رَجُلًا غَيْرِي وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
فَأَنشَدَنِي مِنْ وَقْتِهِ

قَتَلْتِكَ أُخْتُ بَنِي لُؤَيٍّ إِذْ رَمَتْ وَأَصَابَ نَبْلُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا
وَأَعَارَهَا الْحَدَثَانُ مِنْكَ مَوَدَّةً وَأَعَارَ غَيْرَكَ وَدَّهَا وَهَوَاهَا
وَذَكَرَ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ كَانَ الْأَصْعَمِيُّ إِذَا سَمِعَ إِنْسَانًا يَنْشُدُ شِعْرًا فِي مَعْنَى أَنشُدَ فِي ذَلِكَ
الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرِيَهُ أَنَّهُ أَرَادَهُ فَأَنشُدَهُ رَجُلٌ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَا مِ الْمُخْطِئِ الْهَبْلُ
فَأَنشُدُهُ قَوْلَ قَعْنَبِ الْفَزَارِيِّ

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمُ عَلَيَّ النَّيَّ لَأَنْمَا^(١)
وَرَوَى مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ أَنشُدْتَ الْأَصْعَمِيَّ قَوْلَ
الْأَعْمَى طَلِبًا أَنْ يَنْشُدَنِي مِثْلَهُ وَكَانَ مَعَهُ بِحُجْلِهِ بِالْعِلْمِ لَا يَضُنُّ بِمِثْلِ هَذَا

إِنْ تَرَ كِبَافِرُ كُوبِ الْخَيْلِ عَادَتْنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُهُ نُزُلُ
فَأَنشَدَنِي لِرَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومِ الضَّبِيِّ

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْ ظَفِيفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(٢)
فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

وَرَوَى عَنْ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ دَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا الْأَصْعَمِيُّ وَعِنْدِي أُخْتُ
لِلْعَمَانِيِّ الرَّاجِزِ حَافِظٌ رَاوِيَةٌ فَلَمَّا دَخَلَ عَثَبْتُ بِهِ أَخُو الْعَمَانِيِّ فَتَالَ لَهُ مِنْ هَذَا قَالَ هُوَ

(١) نسبه هنا الى قعناب الفزاري ونسبه غيره من أهل الادب الى المرقش الاصفر
وهو عمرو بن حرملة أو ربيعه بن سفيان على اختلاف فيه

(٢) - أوظفة - جمع وظيف ككريم وهو مستدق الذراع والساق من الخيل
والابل - والهيكل - الضخم المشرف - ونزال - اسم فعل أمر بمعنى انزل

الباهلي الذي يقول

فما صحفةٌ مأدومةٌ باهالةٍ بأطيب من فيها ولا أقطر رطب^(١)

فقال له قبل أن يسنم الكلام هو على كل حال أصلح من قول أخيك العماني

يا ربَّ جارِيَةَ حوزاءِ ناعمةٍ كأنَّها عومةٌ في جوفِ راقود^(٢)

قال اسحاق فقلت له أكنت أعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بي شيء إلا وأنا أعرف منه طرفاً

[تأويل آية أخرى] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه .. الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب .. أحدهما القول باللسان .. والآخر بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الغنن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهب العرب بالقول مذهب الغنن فقالوا أتقول عبد الله خارجاً ومتى تقول محمد منطلقاً يريدون متى نظن .. قال الشاعر

أما الرَّحِيلُ فدُونَ بَعْدِ غَدٍ فمتى تقولُ الدَّارَ تَجَمَعُنَا

أراد متى نظن الدار .. وقال الآخر

أجهالاً تقولُ بني لُؤَيٍّ لعمراً أيبك أم متجاهلينا

(١) - الصحفة - قصعة دون الجفنة وفوق المثقلة - والاهالة - الشحم أو ما أذيب منه أو الزيت أو كل ما أسدّم به - والاقط - بفتح فكسر وقد يسكن شيء يتخذ من الخبيض الغنمي .. يريد بهذا التعريض ببني باهالة قوم الاصمعي وأنهم إذا استحسنوا شيئاً شبهوه بشيء من الماء كولات

(٢) - العومة - دويبة - والراقود - دن كبير أو طويل الأسفل مطلي داخله بالقار .. يريد به أن رهط العماني يستطيبون حتى الخبائث والحشرات وبشبهون بها ما يستحسن

أراد تظان بنى لوى . . . وقال توبة بن الحمير

أَلَا يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا لَوْ أَنَّ طَرِبَ بَدَا خَاتِقًا يَسْتَجِيرُهَا
تُخَبِّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتُنْعَمُ لَيْلِي أَنْ يُفَكَّ أَسِيرُهَا^(١)

أراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى (بأفواههم) قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو أطلق القول ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهم المعنى الآخر . . . ومما يشهد بذلك قوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فلم يكذب تعالى قول السنهم لانهم لم يجزروا بأفواههم إلا بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات . . . ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى بأفواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه إلا الى مجرد القول باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقاً اذا كان راجعاً الى برهان فيكون اضافة القول الى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه هكذا تقول وليس الشأن فيما تقوله وتنفوه به وتقلب به لسانك فكأنهم أرادوا أن يقولوا هذا قول لا برهان عليه فأقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بأفواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه إلا الى اللسان . . . ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في

(١) هكذا أنشد البيت هنا وفي غيره من كتب الادب

اظن بها خيراً وأعلم أنها ستنعم يوماً وبفك أسيرها

وهذه الرواية أنسب وأقرب الى المعنى ومنها يعلم ان قوله في البيت الذي قبله -
الا يا صفي النفس - انما هو خطاب لنفسه على سبيل التجريد وتلك عادة لهم مشهورة في
لظمهم ونثرهم - والبيتان من قصيدة له طويلة حسة اولها

نأئك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

يقول رجال لا يضرك نأبها بلي كل ماشف النفوس بضيرها

ذلك التأكيدي فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين أولى لأن
حمل كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة.

[تأويل آية أخرى] ٥٥ ان سأل سائل عن قوله تعالى (ألم يأتكم نبياً الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا أيديهم في أفواههم) فقال أي معنى لرد الأيدي في الأفواه وأي مدخل لذلك
في التكذيب بالرسل عليهم السلام ٥٥ الجواب قلنا في ذلك وجوه ٥٥ أولها أن يكون
إخباراً عن القوم بانهم ردوا أيديهم في أفواههم عاضين عليها غيضاً وحنقاً على الأنبياء
عليهم السلام كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ في معاندته ومكايده وهذه عادة معروفة في
المغيظ المحنق انه يعض على أصابعه ويفرك أنامله ويضرب باحدى يديه على الأخرى وما
شاكل ذلك من الأفعال ٥٥ وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذبين والهاء
التي في الأفواه للرسل عليهم السلام فكأنهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاهم وإنذارهم
أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم
٥٥ وثالثها أن تكون الهاء أن جميعاً يرجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى
انهم اذا سمعوا وعظهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم مشيرين اليهم
بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد من أن يسكت غيره ويمتعه
عن الكلام من وضع أصبعه على في نفسه ٥٥ ورابعها أن يكون المعنى فردوا القول
بأيدي أنفسهم الى أفواه الرسل أي انهم كذبوهم ولم يصغوا الى أقوالهم فالهاء الأولى
للقوم والثانية للرسل والأيدى انما ذكرت مثلاً وتأكيدياً كما يقول القائل أهلك فلان
نفسه بيده أي وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره ٥٥ وخامسها أن المراد بالأيدى
النعم والهاء الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بأفواههم نعم الرسل
أي ردوا وعظهم وإنذارهم وتوبيههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعماً عليهم ٥٥
ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التي في الأيدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم
فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظه في على معنى الباء جازئ لقيام بعض الصفات مقام بعض
يقولون رضيت عنك ورضيت عليك ٥٥ وحكي في لغة ملي أدخلك الله بالجنة يريدون في

الجنة فيعبرون بالباء عن معنى في كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بفي عن الباء . قال الشاعر
 وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيْطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

أراد وارغب بها فحمل في على الباء . . . وسادسها وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر
 وزعم انه أولى من غيره قال المضمرون في قوله أيديهم الرسل وكذلك المضمرون في
 أفواههم والمراد باليد ههنا ما نطق به الرسل من الحجج والبيّنات التي ذكر الله تعالى
 أنهم جاؤا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضاً وعلى
 الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي أتى به الأنبياء قومهم
 هو الحجّة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع على اسم اليد ولما كان مانعاً
 به الأنبياء قومهم ويندرونهم به إنما يخرج من أفواههم فردوه وكذبوه قيل أنهم ردوا
 أيديهم في أفواههم أي أنهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز أن يكون الضمير
 في ذلك للرسل اليهم كما تأوله بعض المفسرين وذكر ان معناه أنهم عضوا عليهم أناملهم
 غيظاً لأن رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى راداً ليده الي فيه إلا اذا كانت يده
 في فيه فيخرجها ثم يردّها . . . [قال المرتضي] رضی الله عنه وليس ما استنكره أبو مسلم
 من رد الأيدي الى الأفواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الي فيه والى وجهه
 وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ هذا
 القول تحقيقاً لساغ تجوزاً واتساعاً وليس يجب أن تؤخذ العسرب بالتحقيق في كلامها
 فان تجوزها واستعاراتها أكثر على انه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك
 الفعل شيئاً بعد شيء وتكرر منهم فلهدا جاز أن يقول ردوا أيديهم في أفواههم لأنه قد
 تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه
 للجواب اذا صرنا الى مراده

[تأويل خبر] . . . روى ان مسلماً الخزاعي ثم المصطفي قال شهدت رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطفي

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَابِيأَ تُؤَافِي كُلَّ إِنْسَانٍ

وَأَسْلَكَ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخْتَشِعٍ حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي ^(١)
فَكَلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يَفَارِقُهُ وَكَلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَانِي
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَا تَيْكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لأسلم فبكي مسلم فقال ابنه يا أبت ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فما رأيت مشركاً تلففت من مشرك خيراً من سويد .. قوله ما يمني لك الماني - معناه ما يقدر لك القادر .. قال الفراء يقال مني الله عليه الموت أي قدر الله عليه الموت .. وقال يعقوب منك الله بما يسرك أي قدر الله لك ما يسرك وأنشد

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى إِلَى جَدَثٍ يُوزِيهِ بِالْأَهَاضِبِ ^(٢)
.. قال ابن الأعرابي ساقه المنى أي ساقه القدر .. وأنشد ابن الأعرابي

مَنْتَ لَكَ أَنْ تُلَافِنِي الْمَنَايَا أَحَادَ أَحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ ^(٣)

معناه قدرت لك .. وقال أبو عبيدة في قوله تعالى (من نطفة إذا تمنى) معناه إذا تخلق وتقدر .. وقال بعض أهل اللغة انما سمي منى لما يمني من ثواب الله أي يقدر فيه وقيل أيضاً لما يمني من الدم .. وقيل انما سمي بذلك لأن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما انتهى قال له الملك تمن قال أتمنى الجنة فسمى منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث والتذكير أجود .. قال الشاعر في التذكير

سَمِي مَنِيَّ ثُمَّ رَوَاهُ وَسَا كَنَهُ وَمَنْ تَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَذْقِ مُعْتَبِقُ

- (١) - مختشع - من الخشوع وهو الذل والمسكنة بقول إن من سلك طريقه الذي يليق به سلوكه ولم يتجاوز به الى مالا يليق به قضى عمره في غز ورفعة حتى يوافي أجله
(٢) - الجدث - القبر - ويوزى يختفر ويعمل من أوزى داره إذا جعل حول حيطانها الطين - والاهاضب - جمع هضبة وهي المنرف من الارض
(٣) - أحاد أحاد - يعني واحداً واحداً وهما ممنوعان من الصرف للعهد

•• وقال آخر في الثابت

لِيَوْمِنَا بِمَنَى إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرَهُ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرْجِ أَوْ مَلَلِ

فأما قوله - فالخير والشر مقرونان في قرن - فالقرن الحبل وأراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خيراً صرفاً لا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان في قرن ويجوز أيضاً أن يريد أن لسرعة قلب الدنيا وإبدالها الخير بالشر كأن الخير والشر مقرونان مجتمعان معاً لتقارب ما بينهما •• فأما - الجديدان - فهما الليل والنهار وهما أيضاً الأجدان والملوان والفتيان والردقان والعصران •• قال الشاعر

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ تَقْسُدُ النَّاسُ

•• وقال آخر

وَأَنْظَلُهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمَلَّنِي وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ^(١)

وقال أبو عبيدة ويقال الليل والنهار إنا سبات •• وأشد ابن الاعرابي

وَكُنَّاوَهُمْ كَأَنَّ بَنِي سُبَاتٍ تَقَرَّرًا سَوِيٌّ ثُمَّ كَانَا مِنْجِدًا وَتَهَامِيَا

ويقال للغداة والعشى القرنان والبركان والصرعان •• أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أشدنا ابن الاعرابي لرقيع الوالي

كَذَبْتُكَ مَا وَعَدْتُكَ أَمْسِ صِلَاحُ وَعَسَى يَكُونُ لِمَا وَعَدْتَ نَجَاحُ
بُرُؤٌ مِنَ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضِمَانُهُ لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَصِحَاحُ
أَصْلَاحُ إِنَّكَ قَدْ رَمَيْتَ نَوَافِدًا وَجَوَافِتًا لَيْسَتْ لِهِنَّ جِرَاحُ

(١) - أنظله - بالنون أي أمطله وقد روى بالهم أيضاً والمعنى انه لا يزال يسوفه من يوم الى يوم ومن وقت الى آخر حتى يرضى بنصف ماله عليه من الدين وأنفه راغم

ولقد رأيتك بالقوادم لمحةً وعلى من سدّف العشي رباحٌ

معنا رباح ههنا أي على وقت من العشى ومثله رواح وقوم يروونه بالكسر وليس بشيء

ما كان أبصرني بفرات الصبا واليوم قد شفعت لي الأشباح

ومشي بجنب الشخص شخص مثله والأرض نائية الشخص براح

حلق الحوادث لمتي فتركن لي رأساً يصل كأنه جماح

وذكا بأصداغي وقرن ذؤابتي قبس المشيب كأنه مصباح

قال كأنه جماح من املاسه - وجماح - سهم أو قسبة يجعل عليها الطين ثم يرمى بها الطير

وبهذا الاسناد لبعضهم

أرى الناس للصعلوك حرباً ولا أرى لذي نسب إلا خليلاً مصافياً

أرى المال ينشى ذال الوصوم فلا يرى ويدعى من الأشراف من كان غائباً

- الصعلوك - الفقير وهو أيضاً القرضوب والسريرت - والوصوم - العيوب . . .

وبهذا الاسناد لعقيل بن علفه

إني ليحمدني الخليل إذا اجتدي مالي ويكرهني ذوو الأضغان

وأيت تحلجني الهموم كأنني دلو السقا تمده بالأشطان^(١)

وأعيش بالليل القليل وقد أرى أن الرموس مصارع الفتيان

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن منصور قال أخبرني محمد بن

موسى عن دعبل بن علي قال قال لي عقيل بن علفه وذكر الأبيات الثلاثة وزاد فيها

(١) - تحلجني - من حلجت القطن إذا ميزت حبه عن شعره ورواه ابن الأعرابي بإخاء

من خلجه الهم شغله - وتمده - ترفع - والأشطان - جمع شطن وهو جبل البئر - والرموس

جمع رمس وهو القبريقول إن الموت كائن لآحالة فالليل من العيش والكثير سيان

ولقد علمت لئن هلكت ليدكرن قومي إذا عان النجبي مكاني

[قال المرتضى] رضى الله عنه وكان عقيل بن علفه مع قوة شعره جيد الكلام
 حكيم الألفاظ .. وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفه المرى
 ما أحسن أموالكم فقال ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضلاً قال نعم أيها قال مواريتنا قال
 فأبها أشرف قال ما استفدناه لوقعة خوات نعماً وأفادت عزاً قال فما مبالغ عزكم قال ما لم
 يطلع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به متناً وأبقينا به ذكراً قال فما
 مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منّا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك
 هكذا فليصف الرجل قومه .. وروى انه قيل لعقيل بن علفه قد عنتت بناتك أفما
 نخشى عليهن الفساد قال كلا إني خلقت عندهن الحافظين قيل وما هما قال الجوع
 والعري أجيعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يظهرن .. وقال له عبد الملك يوماً مالك
 نهجو قومك قال لأنهم أشباه الغنم اذا صبح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت قال إنما
 تقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق .. فأما معنى علفه اسم
 أبيه .. قال ابن الاعرابي قال العلفه مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الرهز من البقل
 وغيره .. وقال أبو سعيد السكري العلفه ضرب من أوعية بزر بعض النبات مثل قشرة
 الباقلاء واللوبياء وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب .. وقيل ان عقيلاً كان يكنى بأبي
 الوليد وكان عقيل غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة .. وروى أبو عمرو بن العلاء انه حمل
 يوماً ابنة له وأنشأ يقول

إني وإن سيق إلي المهر ألف وعبدان وذود عشر

أحب أصهاري إلي القبر

وذكر الأصمعي ان عقيلاً كان لغيرته اذا رأى الرجل يتحدث الى النساء أخذه ودهن
 ارقاعه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهم .. وروى
 الأصمعي قال كان عقيل بن علفه في بعض سفره ومعه ابنه العلس وابنته الجرباء
 فأنشأ يقول

فَضَّتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ وَرُبَّمَا عَلِيٌّ عَجَلِيٌّ نَاطِحُنَهُ بِالْحِجَابِ (١)
 ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ فَقَالَ أَجْزِ يَا عَلِمَسْ فَقَالَ
 وَأَصْبَحَنَ بِالْمَوْمَاةِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةً نَشَاوِيٍّ مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلَ الْعَمَائِمِ
 ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فَقَالَ أَجْزِي يَا جَرِبَاهُ فَقَالَتْ

(١) - دير سعد - بين بلاد دغظقان والشام وقد أخرج الضحاك هذه الحكاية بإسقاط
 مما ذكر هنا ونحن نذكرها تيمناً للفائدة . . . قال خرج عقيل بن علفة وجثامة وابنته
 الجرباه حتى أتوا بنتا له ناسكا في بني مروان بالشامات ثم أنهم قفلوا حتى إذا كانوا ببعض
 الطريق قال عقيل بن علفة

فَضَّتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ وَطَلَّمَا عَلَى عَرَضِ نَاطِحُنَهُ بِالْحِجَابِ
 إِذَا هَبَّتْ أَرْضًا يَمُوتُ غَرَابِهَا بِهَا عَطْشًا أُعْطِيهِمْ بِالْحِزَامِ
 ثُمَّ قَالَ أَنْفَذَ يَا جَثَامَةَ فَقَالَ جَثَامَةُ
 فَأَصْبَحَنَ بِالْمَوْمَاةِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةً نَشَاوِيٍّ مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلَ الْعَمَائِمِ
 إِذَا عَلِمَتْ غَادِرُهُ بِتَوَفُّةٍ تَذَارِعُنَ بِالْأَيْدِي لِأَخْرِطَاسِمْ
 ثُمَّ قَالَ أَنْفَذِي يَا جَرِبَاهُ فَقَالَتْ

كَأَنَّ الْكُرَى سَقَامٌ صِرْخُودِيَّةٌ عَقَارًا تَمَطِّي فِي الْمَعَا وَالْقَوَائِمِ

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف تحت قرطك أما وجدت
 من الكلام غير هذا فقال جثامة وهل اسامت انما اجادت وليس غيري وغيرك فرماه عقيل
 بسهم فاصاب ساقه وانفذ السهم ساقه والرجل ثم شد على الجرباه فعقر ناقتها ثم حملها
 على ناقة جثامة وتركه عقيرا مع ناقة الجرباه ثم قال لولا ان تسبني بنو مرة لما عشت ثم
 خرج متوجها الى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم انه اصابه غير الطاعون
 لا قتلنك فلما قدموا على أهل أير وهم بنو القين ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم
 هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال فآلزموا أثر هذه الراحلة حتى تجردوا الجزور ونفجرت
 القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم فاحتملوه وتقسوا الجزور وانزلوه

كَأَنَّ الْكَرَى سَقَاهُمْ صَرَخَ دِيَّةً عَقَارًا تَمَشَّتْ فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ

قال فأقبل على ابنته بضر بها ويقول والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها فونب عليه
إخوتها فقاتلوه دونها ثم رماه أحدهم بسهم فانتظم نخذه . . فقال عقيل

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَّمِ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرَّجَالِ يَكَلِّمُ

وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوِّمُ شِدْشِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

الشنينة - الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل اجتنابه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل

وَاللِّدْهَرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَلْبِئْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدًّا وَأَخْلَقَا

وَكُنْ أَكَيْسَ الْكَيْسِيِّ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ

وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقِيِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

مجلس آخر ٢٧

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (والى الله ترجع الأمور) فقال
كيف يصح القول بأنها رجعت عليه وهي لم تخرج عن يده . . الجواب قلنا قد ذكر
في ذلك وجوه . . أولها ان الناس في دار المحنة والتكليف قد يفترون بعضهم ببعض
ويعتقدون فيهم أنهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد يدخل عليهم
الشبه لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الأصنام وغيرها من
عليهم وما لجوه حتى يرى والحقوه بقومه فلما كان قريبا منهم نفني

أبعذر لاحينا ويلحين في الصبا وما هن والفتيان الاشقائق

فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آفا وقد عاودت ما يكرهه
فامسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شر وعثر فقال انما هي خطيرة خطرت
والراكب اذا سار نفني

المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وأيقن الكل انه لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله فردوا اليه أمورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتأميله للضر والنفع غرورٌ وزور فقال الله تعالى (والى الله ترجع الأمور) لهذا المعنى .. والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقي وقد تقول العرب قد رجعت على من فلان مكروه بمعنى صار الي منه ولم يكن سبق الي قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد على من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء .. قال الشاعر

وإن تكن الأيام أحسن مرةً إليّ فقد عادت لهنّ ذنوبٌ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل بل كان قبلها إحسان شمل الآية على هذا المعنى شائع جاز تشهد له اللغة .. والوجه الثالث إننا قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف وإفضاء الأمر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه الموالى من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد الله تعالى برجوع الأمر اليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتملكه الي أن يكون هو وحده مالكا ومدبرها .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بها ان الأمر ينتهي الي أن لا يكون موجود قادر غيره وبفضي الأمر في الانتهاء الي ما كان عليه في الابتداء لأن قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد إفتانهم هكذا يصير وتكون الكناية برجوع الأمر اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقي لأنه عاد الي ما كان عليه متقدماً .. ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك أن الي قدرته تعود المقدورات لأن ما أفناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض ترجع الي قدرته ويصح منه تعالى إيجاداً لعوده الي ما كان عليه وان كان لا يصح في مقدورات البشر وان كانت

قريش كانوا اذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من أهل الوبر واذا كانوا من أهل المدر تقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فهاهم الله تعالى عن ذلك وأعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر وان البر غيره .. ونالها وهو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر بان تطلبوا من غير أهله وتلتمسوه من غير بابه وأتوا البيوت من أبوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند أهله .. ورابعها وهو جواب أبي علي الجبائي أن يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل وأراد ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته لأن إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الاثم والخطأ وبين البر والتقوى وامر بآتيان الأمور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً لأن العادل عن الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .. وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم الله والعرب تسمى المرأة بنتاً .. قال الشاعر

مالي إذا أنزعها صأيتُ أكبر غيرني أم بنتُ

أراد بالبيت المرأة .. ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي علي الجبائي والجواب عن أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي

إني عَجِبْتُ لَأَمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَرَبْتُ مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ
مَا شَقِوَةُ الْمَرْءِ بِالْإِقْتَارِ يُقْتَرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْثَارِ
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

الله عليه وسلم تأخر الرجل فقال له عليه الصلاة والسلام مالك لا تدخل فقال أنا أحسى فقال وأنا كذلك فلتخ بفعله وقوله ما كانت عليه قريش ومن أخذ مأخذها

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يُزِينُ لِي شَتَمَ الْعَشِيرَةَ أَوْ يُذْنِي مِنَ الْعَارِ
 وَخَيْرِ دُنْيَا يَنْسِي الْمَرْءَ آخِرَةَ وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الْجِبَارِ أَسْرَارِي
 لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أُكْسِرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي

فقوله لا أدخل البيت أحب من مؤخره - يحتمل أن يريد به إتي لا آتي الأمور من
 غير وجهها على أحد الأجوبة في الآية . . . ويحتمل أيضاً إني لا أطلب الخير إلا من أهله على
 جواب أبي عبيدة . . . ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يريد إتي لا أقصد البيت للريبة
 والفساد لأن من شأن من يسي إلى أفساد الحرم ويقصد البيوت للريبة أن يعدل عن
 أبوابها طلباً لاخفاء أمره فكأنه نفي عن نفسه بهذا القول القبيح وتنزه عنه كما تنزه
 بقوله - ولا أكسر في ابن العم أظفاري - عن مثله وأراد أنه لا يبدأ ابن العم مني السوء
 ولا يتألم بشيء من جهتي فأكون كأنني قد جرحته بأظفاري وكسرتها في لحمه وهذه
 كنايةات بليغة مشهورة للعرب . . . ويجري مجرى هذه الأبيات ومقاربتها في المعنى
 وحسن الكناية قول هلال بن خنم

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوهُ إِلَى اغْتِيَابِهَا
 إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَوْراً وَلَمْ تَنْبِخْ عَلَيَّ كِلَابُهَا
 وَمَا أَنَا بِالذَّارِي أَحَادِيثَ يَنْتَبِهَا وَلَا عَالِمًا مِنْ أَى حَوْكٍ ثِيَابِهَا
 وَإِنْ قَرَأَ الْبَطْنُ يَكْفِيكَ مِلَاهُ وَكَفَيْكَ غُورَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابِهَا

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبية وكنايةات بليغة لأنه
 نفي عن نفسه زيارة جاراته عند غيبة بعلاها وخص حال الغيبة لأنها أدنى إلى الريبة
 وأخص بالهمة فقال - ولم تنبح علي كلابها - أراد إني لا أطرقها لئلا مستغنياً متسكراً
 فتسكنني كلابها وتنبحنى وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم . . . لا أدخل
 البيت أحب من مؤخره وقد روى ولم تأنس إلى كلابها وهذا معنى آخر كأنه أراد
 أنه ليس بكثير الطروق لها والغشيان لمنزها فتأنس به كلابها لأن الانس لا يكون إلا

مع المواصلة والمواترة .. وقوله - وما أنا بالداري أحاديث بينها - أراد به أيضاً التأكيد
 في نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه إذا أدمن الزيارة صرف أحاديث بينها فإذا لم يزرها
 وصارمها لم يعرف .. ويحتمل أن يريد إنني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل
 أهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك .. وقوله - ولا عالم من أي حوك ثيابها - كناية مليحة
 عن أنه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها .. وبالاسناد المتقدم لحارثة
 ابن بدر الغداني

إِذَا هَمَّ أَمْسِي وَهُوَ دَاءٌ فَأَمِضِهِ وَلَسْتَ بِمُضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ
 وَلَا تُنْزِلُنَّ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إِذَا هَمَّ أَمْرًا عَوَّقْتَهُ عَوَازِلُهُ
 فَمَا كُلُّ مَا حَاوَلْتَهُ الْمَوْتُ دُونَهُ وَلَا دُونَهُ أَرْصَادُهُ وَحِبَائِلُهُ
 وَلَا الْفَتَكُ مَا آمَرْتَ فِيهِ وَلَا الَّذِي تَحَدَّثُ مَنْ لَأَقَيْتَ أَنْكَ فَاعِلُهُ
 وَمَا الْفَتَكُ إِلَّا لِأَمْرِي ذِي حَفِيظَةٍ إِذَا مَالَ لَمْ تَرَعُدْ عَلَيْهِ خِصَائِلُهُ
 وَلَا تَجْمَعْنَ سِرًّا إِلَيَّ غَيْرَ أَهْلِهِ فَتَقَعْدِ إِنْ أَقْنِي عَلَيْكَ تَجَادِلُهُ
 وَلَا تَسْأَلِ الْمَالَ الْبَخِيلَ تَرَى لَهُ غَنِيَّ بَعْدَ ضُرِّ أَوْرَثْتَهُ أَوْائِلُهُ
 أَرَى الْمَالَ أَفْيَاءَ الظَّلَالِ فَتَارَةٌ يَوْوَبُ وَأُخْرَى يَخْتَلُ الْمَالَ خَائِلُهُ

معنى - أمرت - شاورت - والخصائل - كل لم يجتمع وقد روينا في هذه الأبيات زيادة
 على القدر الذي ذكرناه .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال
 حدثنا محمد بن العباس قال حدثني الفضل بن محمد عن أبي المنهال المهلب قال من الأبيات
 السائرة قول حارثة بن بدر الغداني

لَعَمْرُكَ مَا بَقِيَ لِي الدَّهْرُ مِنْ أَخِي حَفِيٍّ وَلَا ذِي خِلَّةٍ لِي وَأَصِيلِهِ
 وَلَا مِنْ خَلِيلٍ لَيْسَ فِيهِ غَوَائِلُهُ فَشَرُّ الْأَخْلَاءِ الْكَثِيرُ غَوَائِلُهُ

وَقُلْ لِفُؤَادِي إِنْ نَزَى بِكَ نَزْوَةٌ مِنْ الرَّوْعِ أَفْرِخِ أَكْثَرَ الرَّوْعِ بِاطِلُهُ

معنى - أفرخ - أي أسكن يقال أفرخ روعه إذا سكن

وما كلُّ ما حاولته الموت دُونَهُ

وذكر البيهقي الذين بعده وزاد

وَكُنْ أَنْتِ تَرْعِي سِرَّ نَفْسِكَ وَأَعْلَمَنْ
إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فَبُخِ بِهِ
بِأَنَّ أَقْلَ النَّاسِ لِلْسِرِّ حَامِلُهُ
وَلَا تَقُلِ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ

ومما يستحسن لحارثة بن بدر الغدافي قوله

لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعَهَا
وَأَنَا لَتَسْتَحْلِي الْمَنَايَا نُفُوسُنَا
وَقَدْ بَلَّغْتُ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقَهَا
وَتَتْرِكُ أُخْرَى مَرَّةً لَأَنْذُوقَهَا
وَشَيْبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينِ مَشِيْبِهِ
رَعُودُ الْمَنَايَا يَبْنِنَا وَبُرُوقَهَا

قوله - لنا نبعه كانت تقينا فروعها - مثل ضربه وإنما أراد عشيرته وأهل بيته ٠٠ وقد

روى هذه الأبيات على بن سليمان الأخفش عن أبي العباس نعلب وزاد فيها

رَأَيْتُ الْمَنَايَا بِأَدْيَانِ وَعُودًا
وَقَدْ قَسَمْتُ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا
إِلَى دَارِنَا سَهْلًا الْيُنَا طَرِيقَهَا
فَرِيقٌ مَعَ الْمَوْتِي وَعِنْدِي فَرِيقَهَا
وَيَبْنِنُ رَجِي النَّفْسَ مَا هُوَ نَازِحٌ
مِنَ الْأَمْرِ لَاقَتْ دُونَهَا مَا يَعُوقُهَا

٠٠ وروى أبو العيناه قال أشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأول فقال

هبه الله لمن هذا يا شعبي قال لحارثة بن بدر فقال نحن أحق بهذا ثم أمر للشعبي بأربعائة

دينار ٠٠ ومن مستحسن قول حارثة

وَلَقَدْ وَلِيْتُ إِمَارَةً فَرَجَعْتُهَا
وَلَقَدْ مَنَعْتُ النَّصِيحَ مِنْ مَتَقَبَلٍ
فِي الْمَالِ سَالِمَةً وَلَمْ أَتَمَّوَلِ
وَلَقَدْ رَفَذْتُ النَّصِيحَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ

فبأي لَمَسَةٍ لَمْ يَلْمَسِ لَمْ يَلْمَسِ وبأي حيلة حائل لَمْ يَحْتَلِ
يا طالب الحاجات يَرْجُو نَجْحَهَا ليس النجاحُ مع الأَخْفِ الأَعْجَلِ
فأصدُقْ إِذَا حَدَّثَتْ تُكْتَبُ صَادِقًا وَإِذَا حَلَفَتْ مُمَارِيًا فَتَحَلَّلِ

معنى - تكتب صادقاً - أى تكون عند الله صادقاً. وقوله - فتحلل - أى استن
وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَى غَيْرًا أَكْفَمُهُمْ بَرِيثٌ فَأَعْجَلِ

معنى - الباهشين - المادين أيديهم إلى الشيء المهشين له

وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلْ وَأَحْذَرْ مَكَانَ السُّوءِ لَا تَحَلَّلْ بِهِ
وَإِذَا ابْنُ عَمِّكَ لَجَّ بِعَضِّ لَبَّاجَةٍ فَأَنْظِرْ بِهِ عِدَّةً وَلَا تَسْتَعْجَلْ (١)
وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِعًا تَرْجُو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضَلِ
وَأَسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تَكُونُ خِصَاصَةً فَتَجَمَّلِ

•• وأخبرنا أبو غبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغدائي رجل تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقبل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالشراب فقال زياد كيف لي بطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق لم تصطك ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت الي قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سأله عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة أيها الأمير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة قد كان برع بروعاً لا يباحقه معه عيب

(١) - اللجاجة - الخصومة - وانظر - استظر - يقول إذا خاصمك قريبك

وجل في خصومتك فانتظر رجوعه اليك وإقلاعه عن خصومتك ولا تستعجل عليه في مقابلته بمثل ما بدأك به أو فانتظر به نازلة تشغله عنك وتكف عنك غائلته

(٧ - أمالي)

وأنا حدثت وإنما أنسب إلى من يغلب على وأنت رجل تدبم الشراب فتى قريبك
 وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظن بي فدع الشراب وكن أول داخل على
 وآخر خارج فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضرمي ونفمي أفادعه للمحال عندك قال
 فاختر من عملي ما شئت قال توليني رام هرمز فانها أرض عسيدات وشرف فان بها شراباً
 وصف لي فولاه إياها فلما شبعه الناس ٥٥ قال أنس بن أبي أنيس وقيل ابن أبي
 إياس الدثلي

أحار بن بذرٍ قد وليت إمارَةً فكن جرّداً فيها تحنون وتسرّق
 ولا تحقرن يا حارٍ شيئاً وجدته فحفظك من ملك العراقين سرق^(١)
 وباه تميمًا بالغنى إن للغني لساناً به العي الهيوبة ينطق
 فإن جميع الناس إما مكذب يقول بما تهوى وإمّا مُصدّق
 يقولون أقوالاً ولا يعلمونها فإن قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدثلي وانه كتب بها إلى حارثة لما ردت إليه سرق
 ويزاد فيها

وكن حازماً في اليوم إن الذي به يجي غد يوم علي الناس مطبق
 ولا تعجزن فالعجز أوطأ مراكب وما كل من بدعو إلى الخير يرزق
 إذا مادعك القوم عدوك أكلاً وكل حارٍ أوجع لست ممن يحقق

ويقال ان حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله

جاءك إله العرش خير جزائه فقد قلت معروفاً وأصيت كما فيا

(١) سرق - بضم أوله وتشديد ثانيه كورة من كور الاهواز ومدبنتها دورق

أَشْرَتَ بِأَمْرِ لَوْ أَشْرَتَ بغيرِهِ لِأَلْفَيْتَنِي فِيهِ لِأَمْرِكَ عاصِياً^(١)

•• ويقال ان حارثة بن بدر والأحنف بن قيس قد دخلا على ابن زياد فقال لحارثة أى الشراب أطيب وكان ينهم فقال برة طاساريه واقطه عنوبه وسمنه عنزبه وسكرة سوسيه ونطفة مسرقانيه فقال للأحنف يا أبا بحر ما أطيب الشراب قال الخمر قال وما يدريك ولست من أهلها قال رأيت فيها خصلتين عرفت انها أطيب الشراب •• ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بأبيه

أُهَانُ وَأَقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونِي وَأَيُّ إِمْرِي يُعْطِي نَصِيحَتَهُ قَسْرًا

رَأَيْتُ الْأَكْفَ الْمُصْلِتِينَ عَلَيْكُمْ مِلَاءٌ وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صُفْرًا

وَإِنِّي مَعَ السَّاعِي إِلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظِيمِكُمْ كَسْرًا

مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَمْنَعُوا الَّذِي لِي لَمْ أَسْتَطِعْ لَكُمْ صَبْرًا

•• وقال يعاتبه

وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِسَيْفِي فَدَرَّتْ

إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُؤَادِي أَتَتْ بِهِ دَعَانِي وَلَمْ أُدْعَ إِذَا مَا أَقْرَتِ

إِذَا هِيَ مَا حَلَوْلَتْ مَحَاقِقَ مَقْسَمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرْتِ

— زبنته — أى دفعته عن ان يحلبها — والفواق — اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين •• ومعنى — أقرت — تركته يحلبها •• ويشبهه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير يعاتب معاوية ومروان وأهل بيته من جملة قصيدة وهي أبيات قوية جدًا

(١) قلت — أورد هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان وذكر

بني بدر المذكورين هنا وزاد بعدهما بيتا واحدا وهو

سَلِّقْ أَخَا بَصْفِكَ بِالْوَدِّ حَاضِرًا وَيُولِيكَ حِفْظَ الْغَيْبِ مَا كَانَ نَائِبًا

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّينَ رِقَابِكُمْ وَتُدْعَى إِذَا مَا كَانَ جَزَّ السَّكَرَاكِرِ^(١)
أَنْحَنُ أَخْوَكُمْ فِي الْمَضِيقِ وَسَهْمُنَا إِذَا مَا قَسَمْتُمْ فِي الْخِطَاءِ الْأَصَاغِرِ

- الخطاء - سهام صغار

وَتُدْعَى بِكُمْ إِلَّا ذُنِي إِذَا مَا قَسَمْتُمْ وَتُلْقَى بَشَنِي حِينَ نَسَأَلُ بِاسِرٍ^(٢)
وَإِنْ كَانَ فِينَا الذَّنْبُ لِلنَّاسِ مِثْلَهُ أُخِذْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ نَاهٍ وَأَمِرٍ

أى من قبل أن نهى عنه أو نوه مر باجتنابه

وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْ غَرِيبٍ بِأَرْضِكُمْ لَوَيْتُمْ لَهُ يَوْمًا جُنُوبَ الْمَنَاخِرِ
فَهَلْ يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ إِلَّا كَفَعَلِكُمْ هَوَانَ السَّرَاةِ وَابْتِغَاءَ الْعَوَائِرِ
وغيرَ نَفْسِي عَنْكُمْ مَا فَعَلْتُمْ وَذِكْرُ هَوَانَ مِنْكُمْ مَتَظَاهِرِ
جَفَاؤُكُمْ مِنْ عَالِجِ الْحَرْبِ عَنْكُمْ وَأَعْدَاؤُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَابِ وَعَاشِرِ
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوَدِّكُمْ وَقَلَّ فِي فَوَادٍ قَدْ تَوَجَّهَ نَافِرِ

ولحارث يرثي زياداً

لَهْفِي عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَبْنِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ شُعْبِرُ
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِّيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ
رَدَّتْ صِنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَتَشُورُ

(١) - جز - قطع - والكرراكر - جمع كركرة بالكسر وهي رمح زور البعير أو صدر كل ذي خف أو الجماعة من الناس كفى بذلك عن الحرب

(٢) - باسر - أي جاف لالبن فيه . . . ومنه بسر الحاجة أي طلبها قبل أوانها

٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه وأظن أبا تمام العطارى نظر الى قول حارثة بن بدر

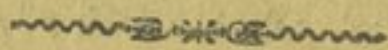
• ردت صنائعه اليه حياته • فى قوله

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مُذْ زَمَنْ فَقَالَ لِي لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ

وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بعنى ابن أخى الأصمى عن عمه قال مر حارثة بن بدر القداني ومعه كعب مولى فجعل لا يمر بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا مرحباً بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاماً قط هو أقر لعينى وألذ فى سمعى مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكنى ما سمعت كلاماً قط هو أكرم إلى منه ثم قال

ذَهَبَ الرَّجَالُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّوَدِّ

وهذا البيت يقال انه لحارثة لانه تمثل به • • وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكنانى مر حارثة بن بدر بالأحنف ابن قيس فقال لولا أنك مستعجل لساورتك قال له أجل كانوا يكرهون أن يشاور الجائع حتى يشبع والظمان حتى يتبع والمفضل حتى يجد والفضبان حتى يرضى والمخزون حتى يفيق



مجلس آخر ٢٩

[تأويل آية] • • ان سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فقال أى تمدح فى سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيه • • الجواب قلنا فى ذلك وجوه • • أولها أن يكون المعنى انه سريع الحساب للعباد على أعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تأخر ويجري مجرى قوله تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) وانما جاز أن يعبر عن المجازاة أو الجزاء بالحساب لأن

ما يجازى به العبد هو كفو لفعله وبمقداره فهو حساب له اذا كان مماثلاً مكافئاً . . . ومما
 يشهد بان في الحساب معنى المكافأة قوله تعالى (جزاء من ربك عطاء حساباً) أى
 عطاء كافياً ويقال أحسبني الطعام بحسبني إحساباً اذا كفاني . . . قال الشاعر
 واذا لا ترى في الناس حسناً يفوتها وفي الناس حسناً لو تأملت محسب
 معناه كاف . . . وثانيها أن يكون المراد أنه عزوجل بحاسب الخلق جميعاً في أوقات يسيرة
 ويقال ان مقدار ذلك حلب شاة لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره
 بل يكلمهم جميعاً وبحاسب كلهم على أعمالهم في وقت واحد وهذا أحد ما يدل على انه
 تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لأنه لو كان بهذه الصفات تعالى
 عنها لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين وكان خطاب بعض
 الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة
 كما ان جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتكرون في الكلام الى الآلات . . . وثالثها
 ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوب وانه لما كانت عادة بني
 الدنيا أن يستعملوا الحساب والاحصاء في أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى انه يعلم
 ما يحسبون بغير حساب وانما سمي العلم حساباً لأن الحساب انما يراد به العلم وهذا
 جواب ضعيف لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ولو سمي بذلك لما جاز
 أيضاً أن يقال انه سريع العلم بكذا لأن علمه بالاشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة
 . . . ورابعها ان الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسأل في
 وقت واحد سوالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه
 ومصالحته فيوصل اليه عند دعائه ومسلته ما يستوجه به بمقدار فلو كان الأمر على
 ما يتعارفه الناس لطال العدد وانصل الحساب فأعلمنا تعالى انه سريع الحساب أى سريع
 القبول للدعاء بغير احساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يبحث الخلقون
 للحساب والاحصاء وهذا جواب مبني أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمى حساباً
 في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على

ذلك بما يكون حجة فيه وإلا فلا طائل فيما ذكره . . . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخالق على أعمالهم يوم القيامة وموافقهم عليها وتكون الفائدة في الاخبار بسرعه الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى (سريع العقاب) وليس لأحد أن يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيموه وذلك ان بينهما فرقاً لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب اليه . . . وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي عليّ الجبائي في اعتماده إياه بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الاخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال . . . وهذا الجواب ليس أبو عليّ المبتدي به بل قد حكى عن الحسن البصري واعتمده أيضاً قطرب ابن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمطل له لأنه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه قال تعالى (فن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب وراجعاً الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار أو يكون راجعاً الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيباً مما كسبوا فلا يكون وعيداً خالصاً بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعيداً ووعيداً على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى (والله سريع الحساب) على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لأن من علم بأنه يحاسب بأعماله ويوقف على جميلها وقبيحها أنزجر عن القبيح وعمل ورغب في فعل الواجب . . .

فهذا ينصر الجواب وان كنا لاندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة وقرب
الحاسبة على الأعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن المقتبحات فالتأويل الأول أشبه
بالظاهر ونسق الآية إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردود



—*—*—*—*—*—*—
مجلس آخر ٣٠

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب)
فقال أي تمدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب أجزل عطية من
المعطي بغير حساب ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن تكون الفائدة
أنه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع
الى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في حسابي أي لم أؤمله ولم
أقدر أنه يكون وهذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسباً
كان أهناً له وأحلاً ٠٠ وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية
أنه قال عني بها أموال بني قريظة والنضير فاتها نصير اليكم بغير حساب ولا قتال على
أسهل الأمور وأقربها وأيسرها ٠٠ وثانيها أنه تعالى يرزق من يشاء رزقاً غير مضيق
ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون نفى الحساب فيه
نفياً للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب تسمى العطاء القليل محسوباً ٠٠ قال
قيس بن الخطيم

أني سررت وكنيت غير سرورٍ وتقرّب الأحلام غير قريب
ما تمنعي يقظي فقد توتيتنه في النوم غير مصرد محسوب

٠٠ وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق من يشاء من غير حساب أي من غير طلب للمكافأة
أو اراغة فائدة تعود اليه أو منفعة ترجع عليه لأن من شأن أهل الدنيا أن يعطوا
ليكافئوا وليتشفوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية الى هذه الأمور فلان بحاسب الناس

فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور من عطايها سبحانه جاز أن يقول انه يرزق من يشاء بغير حساب . . . ورايها ما أجاب به قطرب قال معنى الآية يعطى العدد الكثير لا ما يضبطه الحساب أو يأتي عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا يتأهي وخزائمه لا تنحصر ولا يصح عليه النفاذ وليس كالمعطي من الألف من الألفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويمكن منه محدود متناهي ولا تنهي ولا انقطاع لما بقدر سبحانه عليه . . . وخامسها أن يعطى عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم لمخاسبته إياهم على طاعتهم كما قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) وكما قال عز وجل (إن ترضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم) وكما قال تعالى (ليؤتيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) . . . وسادسها أن يكون المعطي من غير شيئاً والرازق سواء رزقاً قد يكون له ذلك فيكون فعله حسناً لا يسأل عنه ولا يؤخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحاً يؤخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق التقيح وما ليس له أن يفعله بنفي الحساب عنه وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم ونجسرى الآية مجرى قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وإنما أراد انه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجوز أن يسأل عنها وان سئل العباد عن أفعالهم لانهم يفعلون الحسن والتقيح معاً . . . وسابعها ان الله تعالى اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطاً من جهة الناس فليس لأحد أن يقول له لم رزقت ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسأله ربه عن الرزق وإنما يسأله عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ولذلك قال تعالى (بغير حساب) . . . وثامنها أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه من أهل الجنة لانه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لانهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر (فأولئك يدخلون الجنة برزقون فيها بغير حساب)

[تأويل خبر] ٥٠٠ ان سأل سائل عن الخبر الذي يروي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال توضعوا مما غيرت النار ٥٥ فقال ما المراد بالوضوء ههنا وذهبكم ان مس ما غيرت النار لا يوجب الوضوء ٥٥ الجواب ان معنى توضعوا أى نطفوا وأيديكم من الزهومة لانه روى ان جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون فقدوا أشد علينا من ريحها فأمر عليه الصلاة والسلام بتنظيف الأيدي ٥٥ فان قيل كيف يصح أن نحملوا الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الأفعال المختصة بدلالة ان من غسل يده أو وجهه لا يقول بالاطلاق توضعوا متى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه الصلاة والسلام خص بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة ٥٥ قلنا ليس ننكر أن يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث أو الصلاة وما أشبههما ٥٥ فأما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق على أصله ألا ترى انهم لو قالوا توضعوا من الطعام ومن الغزرة أو توضعوا للطعام لا يفهم منه إلا الغسل والتنظيف واذا قالوا توضعوا اطلاقاً أو توضعوا من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس الى أن اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيداً باقياً على ما كان عليه في اللغة ٥٥ وببين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللعم وانما أراد غسل اليدين بغير شك ٥٥ وروى عن قتادة أنه قال غسل اليد وضوء ٥٥ وروى عكرش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل وغسل يده ومسح ببلل يده وجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الأفعال الشرعية المختصة لصح أن نحملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى أصلها بالأدلة وان كان الأولى لولا الأدلة أن نحمل على

مقتضى الشرع فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم
أكل كتف شاة وقام فصلى ولم يتوضأ . . . وروى عطاء عن أم سلمة قالت قربت جنباً
مشوباً الى النبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه وصلى ولم يتوضأ . . . وروى محمد بن
المنكدر عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك
الوضوء مما مست النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول^(١) لو كان
له ظاهر فكيف وقد بينا أنه لا ظاهر له . . . فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي
هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قبل وضأها ويقال فلان وضىء
الوجه وقوم وضاء . . . قال الشاعر

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذَوُو أُنَاةٍ مَرَّاجِيحٌ وَأَوْجُهُمْ وَضَاءٌ^(٢)

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك أيضاً التوضأ . . . والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ
به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز
أن يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول
فجعلوا القبول مصدراً وهو مفتوح الأول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم إلا معنى

(١) قلت - الخبر الأخير وهو ما رواه جابر أنه كان آخر الأمرين من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار بدل دلالة صريحة على أن المراد بالوضوء
في الحديث السابق وهو توضؤا مما غيرت النار الوضوء الشرعي الذي هو عبارة عن
غسل الاعضاء المعلومة وان الوضوء مما مست النار كان مشروعاً ثم نسخ وكل ما ذكر
من كونه صلى الله عليه وسلم أكل مما نالته النار ولم يتوضأ محمول على ما بعد النسخ وهذا
هو الصحيح ولا حاجة لمحمل السيد رحمه الله ولا يناقض هذا مذهب أحد ممن يقول
بعدم مشروعية الوضوء مما مست النار

(٢) - الفعال - بكسر الفاء جمع فعل خيراً كان أو شراً فان فتحوا الفاء أرادوا
ما هو من أفعال الخير فقط - والأناة - السكينة والتؤدة - ومراريج - يقال يريد
أهم لا يلبثون في كل ما ينزل بهم

المصدر وحده ٠٠ قال جرير

أَهْوَى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وَقُودًا أُمُّ بِالْجَنِينَةِ مِنْ مَدَافِعِ أَوْدَا^(١)

٠٠ وقال آخر

إِذَا سَهِيلٌ لَاحَ كَالْوُقُودِ فَرَدًّا كَشَاةِ الْبَقْرِ الْمَطْرُودِ

٠٠ وقال آخر

وَأَجَجْنَا بِكُلِّ بَفَاعِ أَرْضٍ وَقُودَ النَّارِ لِلْمُتَنَوِّرِينَا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثني ابراهيم بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال أتيت عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فاذا هو مغبط ينزع فقلت له مالي أراك هكذا قال دخلت على عاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو ابن عثمان فسلمت فلم يردها علي السلام فقلت

أَلَا فَأَبْلَغَا عَنِّي عِرَاكَ بِنَ مَالِكٍ فَإِنِ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَبْلَغْ أَبَا بَكْرٍ
فَقَدْ جَعَلْتَ تَبْدُوشُوا كُلُّ مَنِكُمَا فَإِنَّكُمَا بِي مَوْقِرَانِ مِنَ الصَّخْرِ
وَطَاوَعْتُمَا بِي غَادِرًا ذَا مَعَاكَةَ لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْزَى وَمَا مِثْلُهُ يُوْرِي

يقال - معك - به وسدل به اذا تعرض به لشر

فَلَوْلَا أَنَّمَا اللَّهُ اتَّقَانِي فِيكُمَا لَلْمُتَّكِمَا لَوْ مَا أَحْرَمَ مِنَ الْجَمْرِ
فَمِسَاتُرَابِ الْأَرْضِ مِنْهَا خَلَقْتُمَا وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَقَامُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَأْتِقَا أَنْ تُغَشِيَا فَكُلَّمَا فَمِحْشِي الْأَقْوَامِ شَرَّ أَمِنِ الْكَبْرِ

(١) - الجنينة - تصغير جنة وهي البستان روضة نجدية - وأود - بضم فسكون

أحد منازل تميم بنجد - ومدافع - جمع مدفع وهو مسيل الماء الى الوادي

ولو شئت أدلى فيكما غير واحد
 علانية أو قال عندي في السر^(١)
 مناه لو شئت اغتابكما عندي غير واحد
 فإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما^(٢)
 وكيف تريدان ابن سبعين حجة
 علي ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرين
 لقد علقت دلو كما دلو حول^(٣)
 من القوم لا رخوا المراس ولا نزر^(٤)

قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهيك بقول الشعر فقال
 ان المصدور اذا نثت برى وانما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن جرم وكانا
 صدقيه كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما .. وقد جاءت رواية أخرى ان أبا بكر بن
 عمرو بن جرم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلمان عليه فقال الأبيات
 بخاطبها .. وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

إذا كان لي سر فحدثته العدي
 وضاق به صدري فلأناس أعدر
 هو السر ما استودعته وكتمته
 وليس بسر حين يفسو ويظهر

.. وأنشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة بن مسعود

أواخي رجالات مطلع بعضهم
 على سر بعض إن صدري واسمه
 إذا هي حلت وسط عود بن غالب
 فذلك ود نازح لا اطالعه

- (١) - أدلى - يقال أدلى فلان في فلان إذا قال فيه قولاً قبيحاً .. يقول لو شئت
 لساعت عليك الناس فسبو كما سراً وعلانية ولكني أمسك عنكما اتقاء لله فيكما
 (٢) - يستشري - بمعنى يبلج أي يتوغل في الأمر ويفرق فيه .. ومنه قيل للخواريج
 الشراة لتوغلهم في المروق من الطاعة ومخالفة الجماعة
 (٣) - حول - شديد الاحتيال ومثله حول كسرود وحوله كهزة وحوالي بفتح
 الحاء وضمها .. يقول انكما وقمنا مع من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما

تَلَا قَتُ حَيَا زَيْمِي عَلَى قَلْبِ حَا زِمٍ
 كَتَمْتُ لِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ أَضَالِعُهُ
 بَنِي لِي عَبْدُ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْعُلَى
 وَعَتْبَةُ مَجْدًا لَا تَنَالُ مَصَانِعُهُ
 وَالْبَيْتَ الْأَوَّلَ بِشَبِّهِ قَوْلِ مَسْكِينِ الدَارِمِيِّ
 وَفَتِيَانَ صِدْقٍ لَسْتُ مُطَّلِعٌ بَعْضِهِمْ
 عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهُمَا

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

تَغْلَغَلَ حُبُّ عَتْمَةَ فِي فُؤَادِي
 فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
 تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ
 وَلَا حَزَنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ
 شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَزْتُ فِيهِ
 هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ
 أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا
 أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
 غِنَى النَّفْسِ أَنْ أَزْدَادَ حَبًّا
 وَلَكِنِّي إِلَى وَصَلِ قَقِيرُ

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

أَحَلَّتْ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحَلَّةً
 مَا حَالَهَا الْمَأْكُولُ وَالْمَشْرُوبُ

وأخذه المتنبي في قوله

وَلِلسِّرِ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ
 نَدِيمٌ وَلَا يُفَضِّي إِلَيْهِ شَرَابُ
 وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ أَمُّ بِهِ فِي قَوْلِهِ
 لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَى وَسَطَهُ
 اسْمَاكَ وَالتَّوْحِيدَ فِي سَطْرِ

وقال الصاحب اسماعيل بن عباد

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَوُا وَسَطَهُ
 سَطْرَيْنِ قَدْ خُطَّ بِهَا كَاتِبِ
 الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ
 وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي ٥٥ ولعبيد

الله بن عبد الله بن عتبة

لعمرو أبي المحصين أيام نلتقى
يعدون يوماً واحداً إن أتيتها
فإن يكن الواشون أغروا بهجرها

ومن مستحسن قوله من غزله

لعمري لئن شطت بعنمة دارها
أروح بهم ثم أغدو بمثله
أخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه في قوله
ويصبح مخزواً ونسي به

وليس يدري ماله عندك

مجلس آخر ٣١

[ثأويل آية] ٠٠ إن سأل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام
(قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن
نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) ٠٠ فقال (٢) أليس هذا صريحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن

(١) - شطت - بعدت - ووشك - قرب - وألبح - أخاف وأحذر ٠٠ بقول
ان ارتحلت عنا وفارقتنا فقد كنت أنتظر ذلك وأتوقعه وأتخوف منه قبل أن يقع
(٢) - قلت - أصل الاشكال في الآية ينبنى على مذهب المعتزلة ان الله جل شأنه
لا يريد الا الحسن وان غير الحسن لا يشاؤه ولا يريد به ومذهب أهل السنة ان كل ما يقع
في الكون من خير او شر فهو مراد لله تعالى وعلى هذا المذهب فلا اشكال في الآية بل
هي شهادة له

يفعل الكفر والقيح لأن ملة قومه كانت كفراً وضلالاً وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله . . الجواب قيل له في هذه الآية وجوه . . أولها أن يكون الملة التي عنها الله إنما هي العبادات الشرعية التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والألطف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه قال إن ملتكم لا تعود فيها مع علمنا بأن الله قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيم عنها وإن كانت ضلالاً وكفراً فقد كان يجوز فيها هو مثلها أن يكون إيماناً وهدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الأفعال بجري الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحاً . . وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) . . فيقال له لم ينصف عودهم إليها على كل حال وإنما نفي العود إليها مع كونها منسوخة منهاً عنها والذي علقه بمشيئة الله تعالى من العود إليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لا خلل فيه . . وثانيها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوم أنه لا يشاؤه وكل أمر علق بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه وتجرى الآية بجري قوله تعالى (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وكما يقول القائل أنا لأفعل كذا حتى يبيض القار أو يشيب الغراب . . وكما قال الشاعر

وحتى يوب القارطان كلاًهما وينشر في القتلى كليب لوائل^(١)

(١) - القارطان - يذكر بن عزة وعامر بن رهم وكلاهما من عنزة خرجا في طلب القرظ وهو ثمرة السنط فلم يرجعا فضربت العرب بقبيلتهما المثل ويقال إنهما مرا بواد عميق فيه عسل فقال أحدهما لصاحبه لو نزلت فأبتنا منه بشيء فربط نفسه بحبل وتدلى حتى بلغ أسفل الوادي فلما أخذ من العسل حاجته قال لصاحبه ارفعني فقال له لا أرفعك

والقارطان لا يؤوبان أبداً وكليب لا ينشر أبداً فكأنه قال ان هذا لا يكون أبداً . . . وثانها ما ذكره قطرب بن المستنير من أن في الكلام تفديماً وتأخيراً وان الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار (لنخرجك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن نعودوا في ملتنا) ثم قال حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال . . . ورابعها أن تكون الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام إنا سنخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما يجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها . . . وخامسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكياً عنهم أو لنعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يكون من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة . . . فان قيل الاستثناء بالمشيئة انما كان بعد قوله (وما يكون لنا أن نعود فيها) فكأنه قال ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب . . . قلنا هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلا أن يشاء الله أن نتفق في الملة بان ترجعوا أنتم الى الحق . . . فان قيل فكان الله تعالى ماشاء أن ترجع الكفار الى الحق . . . قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه ماشاء على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويسيروا الى الحق مختارين ليستمعوا الثواب الذي أجرى بالتكليف اليه ولو شاءه على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيباً عليه الصلاة والسلام قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً الا أن يشاء الله أن يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لانه لو أطلق

أو تزوجني أخذك وكان له أخت يهاها فقل له ليس هذا وقته فتركه ومضى ثم هلك في منصرفه الى أهله ولم يوقف لهما على خبر - وكليب - هو الذي قتله جساس فهاجرت بمقتله الحرب التي تسمى حرب البسوس

أنا لا نتفق أبداً ولا نسير ملتصقين واحداً لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشيئة هذا الوجه ويجري قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) يجري قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) .. وسادسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتمكنكم من إكراهنا ويخلى بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى (أولو كفاً كارهين) .. وسابعها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا باظهار ملتكم مع الإكراه لان اظهار كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله (أولو كفاً كارهين) يقوى هذا الوجه أيضاً .. فان قيل فكيف يجوز من نبى من أنبياء الله أن يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع .. قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي باظهار ملتكم على سبيل الإكراه وهو جائز غير ممتنع

[تأويل خبر] .. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الصدقة ما أتت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعمل .. الجواب قد قيل في قوله خير الصدقة ما أتت غنى قولان .. أحدهما ان خير ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفائهم فاذا خرجت صدقتك عنك الى من أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله في الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى .. وقال ابن عباس في قوله تعالى (وبسئلتونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ما فضل عن أهلك .. والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ما أغنت به من أعطيت عن المسئلة أي تجزى له في العطفة فيستغنى بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغنى بها ويكف عن المسئلة فذلك أفضل من أن يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم .. والتأويل الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله وأبدأ بمن تعمل ويشهد له الحديث الآخر أيضاً انما الصدقة عن ظهر غنى .. وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى .. قال قوم يريدان اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية .. قال ابن قتيبة ولا أرى

هؤلاء إلا قوماً استصابوا السؤال فهم يمتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقليل ان المولى من فوق هو الذى أعتق والمولى من أسفل هو الذى أعتق والناس انما يعلمون بالعطايا لا بالسؤال . . [قال المرتضى] رضى الله عنه وعندى ^(١) ان معنى قوله عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعاً وهو أن تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يداً في مذهب أهل اللسان بغير شك فكأنه صلى الله عليه وسلم أراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على المكارم وتخصيص على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً . . ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن نحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطى ولنظة خير لا تحمّل إلا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب . . وأما من جعل الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا العلم أيضاً مع انه قد قال قولاً شبيهاً وعكس الأمر على ما قال ابن قتيبة . . فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى وهي لا تبقى غنى إلا بعد أن تنقص من غيرها واذا كانت العطية التي هي أجزل أفضل فذلك لا تبقى غنى والتي تبقى غنى ليست

(١) - قوله وعندى أن معنى قوله عليه الصلاة والسلام الخ هذا التأويل بعيد جداً فان قوله في الحديث العليا خير من السفلى لا يدل على أن المراد باليد النعمة ولو كان المراد هذا الوصفها بكونها حقيرة وجالبة أو كبيرة وصغيرة والظاهر أن المراد باليد الجارحة وأما قوله بعد في دفع هذا ان هذا لا يستمر لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن يعطى فبعد تسليم صحته لا يسلم على عمومته وليس المراد في الحديث بكون اليد العليا خيراً من السفلى انها كذلك من جميع الوجوه حتى يلزم ما قال وانما المراد أفضايتها من حيث كونها معطية ومفضولية الآخذة من حيث كونها آخذة فلا ينافي هذا أن تكون الآخذة خيراً من المعطية من وجه آخر

الجزية وهذا تناقض . . . قانا أماتنا ويلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما أبت غني
 لان من تأول ذلك على أن المراد بها المعطي وان خير العطية ما أغنته عن المسئلة
 فالمطابقة ظاهرة ومن تأوله على الوجه الآخر وحمل ما أبتى الغني على المعطي وأهله
 وأقاربه فنأويلنا أيضاً مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي تبقى بعدها الغني على
 الأهل والأقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبت
 غني بعد إخراجها والعطية الجزيلة التي تبقى بعدها غني خير من القليلة فمدح عليه
 الصلاة والسلام بعد ابقاء الغني جزيل العطية وحث على الكرم والفضل . . . أخبرنا
 أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيم قال أملى علينا
 أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي لثابت قطنة العنكي

يا هندا كيف بنصب بات يسكني	وعائر في سواد العين بوذيني ^(١)
كان ليلى والأضداد هاجدة	ليل السليم وأعني من يداوني
لما حني الدهر من قوسى وعدرتني	شبي وقاسيت أمر الغلظ واللين
إذا ذكرت أبا غسان أرفني	هم إذا عرس السارون يشجيني
كان المفضل عزاً في ذوى يمن	وعضمة وثماناً للساكين
غيتاً لذي أزمه غبراء شاتية	من السنين وماوى كل مسكين
إني تذكرت قتلى لو شهدتهم	في حومة الحرب لم يصلوا بهادوني
لا خير في العيش اذ لم يجن بعدهم	حرباً تنى بهم قتلى فتشفيني

(١) - النصب - الهم والتعب وانما سكنه لضرورة الشعر - والعائر كل ما أعل

العين من رمد أو قندي

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْفِنِي إِلَى طَبَعٍ
وَأَنْظُرُ الْأَمْرَ بَعَيْنِي الْجَوَابُ بِهِ
وَعَفَّةٌ مِنْ قُورَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي ^(١)
وَلَسْتُ أَنْظُرُ فِيمَا لَيْسَ بَعَيْنِي
وَلَا يُعَابُ بِهِ عِرْضِي وَلَا دِينِي
وَلَا الْعَضِيهَةَ مِنْ ذِي الضَّغْنِ تَكْبِينِي
لَمْ يَأْخُذْ النَّصْفَ مِنِّي حِينَ بَرَّ مَبِينِي
كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ

•• [قال المرتضى] أدام الله علوه وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة وبداخل

أبياتاً له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقِي
أَسْمَى إِلَيْهِ فَيَعْنِينِي تَطَلُّهُ
إِنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَانِي لَا يُعْنِينِي ^(١)
وَمِنْ مَعَارِيضِ رِزْقٍ غَيْرِ مَمْنُونِ
كَمْ قَدْ أَفَدْتُكُمْ وَأَتَلَفْتُ مِنْ نَشْبِ

(١) - الطبع - النذل وفي الحديث أعوذ بالله من طمع بفضي الى طبع - والعفة -
بالضم بقية الابن في الضرع بعدما منص أ كثره •• يقول ان النليل يعني عن الكثير فلا
خير في طمع بفضي الى ذل

(٢) يقول ان الرزق مقسوم لن يفوت الانسان منه ما قسم له - ويحكى أن عروة
هذا وفد على عبد الملك بن مروان مسترفدا فلما دخل عليه قال له من أنت فتسمى له
فقال عبد الملك ألسن القائل (لقد علمت وما الاشراف من خاقي) الابيات فأطرق
ملياً ثم خرج من فوره ذلك فركب ناقته وخرج الى الحجاز ثم ان عبد الملك سال عنه
فقال انه سافر فقدم على ما كان منه وقال انه شاعر ولستنا نأمن أن ينالنا من لسانه شيء
فأرسل اليه بصلة جزيلة فوافاه الرسول بها حين وافى منزله بالمدينة فقال للرسول قل
لامير المؤمنين كيف رأيت صدقه في قوله

فَمَا أَشْرْتُ عَلَىٰ يُسْرٍ وَمَا ضَرَعْتُ نَفْسِي لِخَلَّةٍ غُسْرٍ جَاءَ يَبْلُونِي ^(١)
 خَيْمِي كَرِيمٍ وَنَفْسِي لَا تُحَدِّثُنِي أَنَّ الْإِلَاهَةَ بِلَا رِزْقٍ يُحَالِيَنِي
 وَمَا أَشْتَرَيْتُ بِمَالِي قَطُّ مَكْرُمَةً إِلَّا تَيَقَّنْتُ أَنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ
 وَلَا دُعَيْتُ إِلَىٰ مَجْدٍ وَمَحْمَدَةٍ إِلَّا أَجَبْتُ إِلَيْهِ مَنْ يُنَادِينِي
 لَا أَتَّبِعُنِي وَصَلَ مَنْ يَبْنِي مُفَارِقَتِي وَلَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِينِي لِينِي
 إِنِّي سَيِّعِرْفُنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَلَوْ كَرِهْتُ وَأَبْدُو حِينَ يُحْفِينِي
 فَغَطَّنِي جَاهِدًا وَأَجْهَدًا عَلَيَّ إِذَا لَأَقَيْتَ قَوْمَكَ فَأَنْظُرْ هَلْ تُغَطِّنِي ^(٢)

وقوم يخبطون فيروون قوله - لقد علمت وما الاشراف من خاتي - بالسين غير المعجمة
 وذلك خطأ وانما اراد بالاشراف انى لا استشرف واتطلع على ما فاتني من امور الدنيا
 ومكاسها ولا تتبعها نفسى ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه ولي أبيات في معنى بعض أبيات
 قطنة وعروة بن أذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى منذ اثنتي
 عشرة سنة والأبيات

تَعَاقَبَنِي نَوْسُ الزَّمَانِ وَخَفَضَهُ وَأَدَبَنِي حَرْبُ الزَّمَانِ وَسَلَّمَهُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْمَغْرُورُ بِالذَّهْرِ أَنَّهُ وَرَاءَ سُورِ الْمَرْءِ فِي الذَّهْرِ غَمُّهُ

(١) - اشرت - من الاشر وهو البطر - وضرعت - من الضراعة وهي الذل
 (٢) وذكر الأصفهاني في الأغاني لعروة زيادة عما ذكره السيد رحمه الله في هذه
 الأبيات وهي

كم من فقير غنى النفس تعرفه وكم غنى فقير النفس مسكين
 وكم أخ لي ملوي كسحا فقلت له ان انطواء لك عنى سوف يبلويني
 انى لا أبصر فيها كان من أربى وأكثر الصمت فيها ليس يعنيني

وما المرء إلا نهب يوم ولية
يملئه بزُد الحياة يمسه
وكان بعيداً عن منازعة الردى
ألا إن خير الزاد ماسد فاقه
وإن الطوي بالعز أحسن بالفتى
وإني لأنى النفس عن كل لذة
وأعرض عن نيل الثريا إذا بدا
أعف وما الفحشاء عنى بعيدة
وما العف من ولى عن الضرب سيفه
ولي في معنى قوله وما الاشراف من خالق
ما خامر الرزق قلبي قبل فجأته
كم قد ترادف لم أحفل زيادته
إن أسخط الأمر أذكر عنه مضطرباً
وتخب به شهب الفناء ودُهْمُهُ
ويفتَرُهُ رَوْحُ النَّسِيمِ بِشْمُهُ
فألقته في كف المنية أمه
وخير تلاميذ الذي لا أجمه^(١)
إذا كان من كسب المذاهب طعمه
إذا ما ارتقى منها إلى العرض وصمه
وفي نيله سوء المقال وذمه
وحسبي في صدق عن الأمر إثمه
ولكن من ولى عن سوء حزمه
ولا بسطت له في النابت يدي
ولو تجاوزتني مافت من عضدي
إن أسخط الأمر أذكر عنه مضطرباً
وإن أريد بدلاً من مذهب أجد

ومعنى - ما خاسر الرزق قلبي - أي لم أتمنه ولا تعلمت إلى حضوره ولا خطر لي بهال

(١) - الفاقة - الحاجة - والتلديدان - التالذ من المال وهو ماورثه الانسان من آبائه والطارف وهو ما اكتسبه واستحدثه بسعيه غالب أحدهما على الآخر فتناهما به يقول خير المال ماسد الفاقة وما زاد على ذلك فهو فضل وزيادة وهذا كقولهم خير الزاد ما بلغك المحل وحسبك من القلادة ما حاط بالعنق وقوله وخير تلاميذ الذي لا أجمه به ان خير مال الانسان ما أنفق منه وأعطى لا ما ادخر وجمع

تنزهاً وتنعماً والوجه في تخصيص نبي بسط اليد بالوائب لأنها يضرع عندها في الأكثر
المتنزه ويعطى المتعفف فن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروءة
ومعنى البيت الثاني ظاهر . . . فأما الثالث فالمراد به إنى ممن إذا كره شيئاً تمكن من مفارقتها
والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتفسر قدرته عن استدراك ما يحب بما يكره . . . وفيه
قائدة أخرى وهي أنى ممن لا تملكه العادات وتقتاده الأهواء بل متى أردت مفارقة خلق
الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك على متعذراً من حيث كان لرأبى على هواي
السلطان والرجحان . . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال
حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد
الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن أذينة نازلاً مع أبي في قصر عروة بالعقيق
فسمعه ينشد لنفسه

خَلَقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَايَ لَهَا	إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُوَادَكَ مَلَّهَا
أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا	فِيكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا فَكَلَا كَمَا
يَوْمًا وَقَدْ ضَحَّيْتَ إِذَا لَأْظَلَّهَا ^(١)	وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُوَادِ فَسَلَّهَا	وَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ
بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا ^(٢)	بِیضَاءِ بَاكَرِهَا النَّعِيمِ فَصَاغَهَا

(١) هكذا هو هنا وقد نسب هذه الابيات لبعض أهل الادب الى الجنون وأنشد

البيت هكذا

اني لا كنم في الحشامن حبها وجدوا أصبح فوقها لاظلمها

وأنشد بعده

وبيت نحت جوانحي حب لها لو كان نحت فراشها لاظلمها

(٢) - اللبقة - الحسنة الدل - وادقها - أى أدق خصمها - وأجلها - أى أجل

عجزتها أى جعلها عظيمة فالكلام على التوزيع وارجاع كل شئ الى ما يناسبه

أَلَسْتُ بَبَصِيرٍ مِّنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا عَطَىٰ هَوَاكَ وَمَا أَلْقَىٰ عَلَيَّ بَصَرِي

قال نعم قالت من حرائر وأشارت الى جواربها ان كان خرج هذا من قلب سليم ..

وأشده أبو الحسن أحمد بن يحيى لعروة

كَأَنَّ خَزَامِي طَلَّةٌ صَابَهَا النَّدَى وَفَارَةٌ مِسْكٌ ضَمَّتْهَا ثِيَابُهَا

إِذَا اقْتَرَبْتُ سَعْدِي لَهَجَتْ بِجَبِّهَا وَإِنْ تَعْتَرِبُ يَوْمًا يَرُوعُكَ اغْتَرَابُهَا

وَكَذْتُ لِدِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً وَغَالَبْتُ نَفْسًا زَادَ شَوْقًا غَلَابُهَا

فَفِي أَيِّ هَذَا رَاحَةٌ لَكَ عِنْدَهَا سِوَاهُ لَعَمْرِي نَأْيُهَا وَأَقْتَرَابُهَا

وَعَادَ الْهَوَىٰ مِنْهَا كَطَلٍّ سَجَابَةً الْأَحْتِ يَبْرُقُ ثَمَّ مَرًّا سَجَابَةً

[قال المرتضى] رضى الله عنه وهيات هذا البيت الأخير من قول كبير

وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بَعِزَّةٌ بَعْدَ مَا تَحَلَّيْتُ مِمَّا يَبْنِنَا وَتَحَلَّتْ

لِكَالْمَرْجُوحِي ظِلَّ النَّعَامَةِ كُلِّهَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ أَضْمَحَلَّتْ

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابٌ مُّجَلِّجٌ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ

.. وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال أشعر أبيات قبيلت في الحسدة والدعاء

لهم بالكثرة أربعة .. فأولها قول الكعب بن زيد

إِن يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُهُمْ قَبِيلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا

فَسَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ

أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ لَا أُرْتَقِي صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أَرُدُّ

لَا يُنْقِصُ اللَّهُ حُسَادِي فَإِنَّهُمْ أَسْرُ عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدْدُ

.. وقال عروة بن أذينة

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءِ فِي مَكْنُونِ

إِنِّي رَأَيْتَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ
أَجَلٌ قَدَرًا مِنَ اللَّائِي يُحِبُّونِي

•• وقال نصر بن سيار

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَيَّ مَا بِي وَمَا بِهِمْ
فَمِثْلُ مَا بِي لِعَمْرِي جَرِّي الْحَسَدَا

•• وقال معن بن زائدة

إِنِّي حَسِدْتُ فَزَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ
لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودٍ
بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله

حُسْدٌ بِجِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ
وَلَيْسَ يَفْتَرِقُ النِّعْمَاءَ وَالْحَسَدُ

وأظن أبا العنابية أخذ قوله

كَمْ عَائِبٌ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ
كَأَنَّ عَائِبِكُمْ بِيَدِي مَحَاسِنِكُمْ
وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَزْيِينِ
وَصَفَافِي مَدْحِكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِيَنِي
فَلَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَسْتَرِدِّيَنِي
مَا فَوْقَ حَبِكَ حَبَّالَسْتَ أَعْلَمُهُ

من قول عروة بن أذينة

لَا بَعْدُ سَعْدِي مَرِيحِي مِنْ جَوِي سَقَمِ
إِذَا الْوُشَاةُ لَحَوَا فِيهَا عَصِيَّتَهُمْ
يَوْمًا وَلَا قُرْبِيهَا إِنْ حُمَّ يَشْفِينِي
وَحَلَّتْ أَنْ بَسْمَعْدِي الْيَوْمَ يُغْرِيَنِي

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله

مَا حَطَّكَ الْوَأَشُونَ مِنْ رُبَّةٍ
كَأَنَّهمُ أَتَسَّوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا
عِنْدِي وَلَا ضَرُّكَ مُنْتَابٍ
عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

ولعروة بن أذينة

تُرَوِّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبَلَاتٍ
وَنَسْهَوْحِينَ تَحْفِي ذَاهِبَاتٍ

كَرْوَعَةٍ الْأَلْمَعَارِ ذِئْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ

— الثالثة — القطعة من الضان ٠٠ وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الاعراب فقال

وَنُحْدِثُ رَوَعَاتِ لَدَى كُلِّ فَرْعَةٍ وَنُسْرِعُ نَسِيَانًا وَمَا جَاءَنَا أَمْنُ
وَإِنَّا وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ رَبِّنَا لِكَالْبُذْنِ لَا تَذْرَى مَتَى يَوْمُهَا الْبُذْنُ

أخذه أبو العتاهية في قوله

إِذَا مَا رَأَيْتُمْ مَيْتِينَ فَرِعْتُمْ وَإِنْ غَيَّبُوا مِلْتَمُ إِلَى صَبَوَاتِهَا

وأخذ صروة بن أذينة قوله

إِنَّ الْفَتَى مِثْلُ الْهِلَالِ لَهُ نُورٌ لِيَالٍ ثُمَّ يَمْتَحِقُ
يَبْلِي وَتَقْنِيهِ الدُّهُورُ كَمَا يَبْلِي وَيُنْضِي الْجِدَّةَ الْخَلْقُ

من قول بعض شعراء طي

مَهْمَا يَكُنْ رَبُّ الزَّمَانِ فَإِنِّي أَرَى قَمَرَ اللَّيْلِ الْمُعَذَّبِ كَالْفَتَى
يَهْلُ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ وَصُورَتُهُ حَتَّى إِذَا مَا هُوَ أَسْتَوَى
تَقَارِبُ يَجْبُو ضَوْؤُهُ وَشِعَاعُهُ وَيَمْصَحُ حَتَّى يَسْتَسِرَّ فَلَا يَرَى
كَذَلِكَ زَيْدُ الْمَرْءِ عِنْدَ انْتِقَاصِهِ يَمُودُ إِلَى مِثْلِ الَّذِي كَانَ قَدِ بَدَى

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

الْمَرْءُ مِثْلُ هِلَالٍ عِنْدَ مَطْلَعِهِ يَبْدُو ضَيْلًا ضَعِيفًا ثُمَّ يَنْتَسِقُ
يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبُهُ كَرُّ الْجَدِيدِينَ تَقْصَانًا فَيَمْتَحِقُ

— * * * * * —
— مجلس آخر ٣٢ —

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (واتبعوا ما نزلوا الشياطين على ملك

سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على
 الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر
 فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله
 ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق
 ولبئنا ما نشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) . . . فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على
 الملائكة أم كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب
 الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهي عنه وحذر من فعله وكيف
 أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله (ولقد علموا لمن اشتراه) ثم قوله (لو كانوا يعلمون)
 . . . الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيد الشبهة الداخلة على من لا ينعم النظر فيها
 . . . أو لها أن يكون ما في قوله (وما أنزل على الملكين) بمعنى الذي فكأنه تعالى أخبر
 عن طائفة من أهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب به الشياطين على ملك سليمان وتضيفه
 اليه من السحر فبرأه الله تعالى من قذفهم وأكذبهم في قولهم فقال وما كفر سليمان
 ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على الناس ثم قال يعلمون الناس
 السحر وما أنزل على الملكين وأراد انهم يعلمونهم السحر والذي أنزل على الملكين وما
 أنزل على الملكين وصف السحر وما هيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفوا ذلك ويعرفوا
 للناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا أعمال
 القبائح لتجنبها لالتواقعها لأن الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعمالوه واقدموا
 على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على
 كيفية ثم قال وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة يعني الملكين ومعنى يعلمان
 يعلمان والعرب تستعمل لفظه علمه بمعنى أعلمه . . . قال القطامي

تَعَلَّمَ أَنْ بَعْدَ النَّحْيِ رُشْدًا وَأَنْ لِسَابِكِ الْغَيْرِ تَقْشَعَا

. . . وقال كعب بن زهير

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنْكَ مُذْرِكِي وَأَنْ وَعَيْدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ

ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذي يدل ان المراد ههنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان
من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر أى انهما لا يعرفانه صفات السحر وكيفيته
إلا بعد أن يقولوا انما نحن عننة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كان عننة بحيث ألقيا الى
المكلفين أمراً لينزجروا عنه ولجتموا من مواقفته وهم اذا عرفوه أمكن أن يستعملوه
ويرتكبوه فقال لمن يعلمانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في إلقاء
هذا اليك فانه انما أتى اليك واطلعت عليه لتجنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما
ما يفرقون به بين المرء وزوجه أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب
وان كان المملكان ما ألقياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما
قصدوا بتعلمه أن يفعلوه ويرتكبوه لأن يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً
عليهم . . . وثانها أن يكون ما أنزل موضعه موضع جرّ فيكون معطوفاً بالواو على ملك
سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين
ومعنى ما أنزل على الملكين أى معهما وعلى ألسنتهما كما قال تعالى (ربنا وآنا ما وعدتنا
على رسلك) أى على ألسنتهم ومعهم وليس بمنكر أن يكون ما أنزل معطوفاً على ملك
سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد الشيء الى نظيره وعطفه على
ما هو أولى هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام
العرب كثيرة قال الله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً
قيماً) وقيم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله
(يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر
به والمسجد الحرام) فالحرام ههنا معطوف على الشهر أى يسئلونك عن الشهر الحرام
وعن المسجد الحرام . . . وحكي عن بعض علماء أهل اللغة انه قال العرب تلتف الحرفين
المختلفين ثم ترمي بتفسيرها جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره كقوله تعالى (ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) وهذا واضح في
مذهب العرب كثير التطابق ثم قال (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة)
والمعنى انهما لا يعلمان أحداً بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيها وصدها عن فعله واستعماله

أن يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدماء على فعله وهذا كما يقول الرجل ما أمرت فلاناً بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له أنك إن فعلته أصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال مع اللفظ الفليل على المعاني الكثيرة لأنه استغنى بقوله (وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولوا إنما نحن فتنة) عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظر في القرآن قال الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فلولا الاختصار لكان شرح الكلام بقوله ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق ومثله قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب) أي فيقال للذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم وأمثاله أ كثر من أن تورد . . ثم قال تعالى (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وليس يجوز أن يرجع الضمير في هذا الجواب إلى الملكين وكيف يرجع إليهما وقد نفي عنها التعليم بل يرجع إلى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف عليه مع السحر جائز وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى (سيدكر من يخشى ويتجنبها الأشتى) أي يتجنب الذكرى الأشتى ولم يتقدم تصريح بالذكري لكن دل عليها قوله سنيذكر . . ويجوز أيضاً أن يكون المعنى فيتعلمون منهما أي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النبي عن السحر إلى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا وكذا أي بدلا منه . . وكما قال الشاعر

جمعت من الخيرات وطباً وعلبةً وصراً الأَخلاف المزهمة البزل^(١)

(١) - الصر - شد خلف الناقة بالخيط لئلا تحلب والناقة ضرورية - والاختلاف - جمع خلف وهو للناقة كالندي للمرأة - والمزهمة السمان الكثيرة الشحم ومثله الزهم . . قال زهير القائد الخليل منكوبا دوابرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم - والبزل - جمع بزل وهو البعير إذا انشق نابه وذلك إنما يكون في السنة التاسعة

وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ مَمِيمةٌ وَسَعِيًّا عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَحَلِّ

يريد جمع مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة . . وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان . . أحدهما أن يكونوا يفرون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفارق بينهما اختلاف النحلة والملة . . والوجه الآخر أن يسمون بين الزوجين بالخميمة والوشاية والاغراء والتخويه بالباطل حتى يؤول أمرهما الى الفرقة والمباينة . . وتلك الوجوه أن تحمل ما في قوله وما أنزل على الجحد والنفي فكأنه تعالى قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان أساؤهما وإنما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبيناً ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام الى سليمان بن داود عليه السلام فأكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساع في قوله تعالى (وكنا لحكمهم شاهدين) يعني حكم داود وسليمان ويكون قوله على هذا التأويل وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة راجعاً الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين أو من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعالمين به ومعنى قولهما إنما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحاً أو قال باطلاً هذا فعل من لا يفلح وقول من لا ينجب والله لا حصلت إلا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصيح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتهالك ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذي يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر بقوله وما أنزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من أحد يرجع

الى قبيلتين من الجن أو الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا .. وقد روى
 هذا التأويل الأخير في حمل ماعلى النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين .. وروى
 عنه أيضاً أنه كان يقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العليجان ملكين
 بل كانا ملكين .. وعلى هذه القراءة فى الآية وجة أخرى وان لم يحمل قوله وما أنزل على
 الملكين على الجحد والنفي وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ما تلو الشياطين
 وتدعبه على ملك سليمان واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال
 مضافاً الى الله تعالى وان أطلق لأنه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما
 بعض الضلال العصاة ويكون معنى أنزل وان كان من الأرض حمل اليهما لا من السماء
 أنه أتى به من نجد البلاد وأعاليها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل
 وهبط وما جرى هذا المجرى .. فأما قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا
 باذن الله) فيحتمل وجوهاً .. منها أن يريد بالاذن العلم من قولهم أذنت فلاناً بكذا
 اذا أعلمته وأذنت لكذا اذا سمعته وعلمته .. قال الشاعر

في سماع يا أذن الشيخ له وحديث مثل ما ذى مشار^(١)

.. ومنها أن تكون إلا زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحد باذن الله ويجرى
 مجرى قول أحدنا لقيت زيدا إلا أنى أكرمه أى لقيت زيدا فأكرمه .. ومنها أن
 يكون أراد بالاذن التخيلية وترك المنع فكأنه أفاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم
 بضارين أحداً إلا بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لمنهم بالقهر والقسر زائداً على
 منهم بالزجر والنهي .. ومنها أن يكون الضرر الذى عنى انه لا يكون إلا باذنه وأضافه
 اليه هو ما ياحق المسحور من الأدوية والأغذية التى تطعمه إياها السحرة ويدعون
 أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل

(١) - الما ذى - العسل الأبيض - ومشار - مجنى .. يقول ان غناهها لطيبه وحسنه
 يستمتع الشيخ الهرم له ويصفى اليه وحديثها لملاوته ورقته كأنه العسل الجيد والاصمعي
 يروى هذا البيت مثل ما ذى مشار بالاضافة وفتح الميم قال والمشار الخلية

الله تعالى بالعادة لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً وإن كان المعرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض .. ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو يحصل عن التفريق بين الأزواج لانه أقرب اليه في ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا اغووا أحد الزوجين فكفر فبات منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر لان الفرقه لم تكن إلا باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفين الأديان فلماذا قال وما هم بضارين به من أحدٍ إلا باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله وإذنه في الفرقه بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقه ويقوى هذا الوجه ما روي انه كان من دين سليمان عليه السلام انه من سحر بانت امرأته .. فأما قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) ففيه وجوه .. أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مملك سليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به أنفسهم .. وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا أنهم علموا شيئاً ولم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم علمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلمه كنه ما يصيروا اليه من عقاب الله الذي لا نقاد له ولا انقطاع .. وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك اليه خير لك وأعود عليك ولو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب إلا انه لا يعمل بموجب علمه فمن أن يقال له مثل هذا القول .. قال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده

اِذَا حَضَرَ اِنِّي قُلْتُ لَوْ تَعَلَّمَانِي
أَلَمْ تَعَلَّمَا اِنِّي مِنَ الزَّادِ مُرْمِلٌ

فنفى عنهما العلم ثم أثبت به قوله ألم تعلماني وإنما المعنى في نفيه العلم عنهما أنهم لم يعملوا بما علموا

فكانهما لم يعلماه . . . ورابعها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظ لهم فيها مع عملهم القبيح إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالي (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا كنا عبثين) ان الذي آثروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا ينم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضمحل باطل وانما الملك الى المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[تأويل خبر] . . . روى عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار . . . وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وجوهاً كثيرة كلها غير صحيح ولا شافي وأنا أذكر ما عتمده وأبين ما فيه ثم أذكر الوجه الصحيح . . . قال ابن قتيبة ذهب الأصمعي الى أن من قلم القرآن من المسلم بن لو ألقى في النار لم تحرقه وكفى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تأويله هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا امامة يقول اقرؤا القرآن ولا تعرفنكم هذه المصاحف المعائمة فان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن . . . قال ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو ان القرآن لو كتب في جلد ثم ألقى في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ذلك بعده قال وجري هذا مجرى كلام الذئب وشكابة البعير وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم . . . قال وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الاحراق انما نفي عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق القرآن فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لأن الله ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق . . . وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري راداً على ابن قتيبة معترضاً عليه اعتبرته مقالته ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً . . . أما قوله الأول فيرده ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله يخرج من النار قوم بعد ما يحرقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل . . . قال وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار قول الله عز وجل انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل
من إيمان فأخرجوه منها ٠٠ قال أبو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار
لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد في
دين الله ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر أبي امامة ان الله
لا يعذب قلباً وعى القرآن معناه قرأ القرآن وعمل به فأما من حفظ الفاظه وضيع
حدوده فإنه غير واع له ٠٠ قال وأما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما روى
هذا الحديث أحد أنه كان في دلائله عليه الصلاة والسلام ولو أراد ذلك دليلاً لكان
صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في إهاب ثم يقيه في النار فلا يحترق ٠٠ قال وقول
ابن قتيبة الثالث لا تحرق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصحح
هنا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو
القرآن والدليل على هذا قوله تعالى (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا
المطهرون) ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو وانما يريد المصحف ٠٠
قال أبو بكر والقول عندنا في تأويل هذا الحديث انه أراد لو كان القرآن في جلد ثم
أتى في النار ما أبطلته لانها وان أحرقته فانها لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمنه
قلوب الأخيار من عباده والدليل على هذا قول الله عز وجل للذي صلى الله عليه وسلم
فيما روى إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن
لو كتب في نبي ثم غسل بالماء لم يتفسل وانما أراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كانت
القلوب تبعه وتحفظه ٠٠ قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله
تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون
الله حديثاً) فهم قد كتموا الله تعالى لما قلوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما أراد تعالى
ولا يكتمون الله حديثاً في حقيقة الأمر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي كتموه
غير مستتر عنه ٠٠ [قال المرتضى] رضي الله عنه والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير
ماتومه ابن قتيبة وابن الانباري جميعاً وهو ان هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم

خطره والمعنى انه لو كتب في إهابٍ وألقى في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .. ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنسٍ بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال لفضيها للناس لعلهم يتفكرون) ومعنى الكلام إننا لو أنزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شيءٍ أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معاصر المكلفين مع ضعفكم وقناتكم فأنتم أولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى (وتلك الأمثال لفضيها للناس لعلهم يتفكرون) ومثله قوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً) .. ومثله قول الشاعر

أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتُ بِنَبِيِّ كَذِكْرِ الْكَمَا نَهَيْتِ لِلْعَيْنِ مَذْمَعًا
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا

.. ومثله

فلو أن ما بي بالحصي فلق الحصى وبالرييح لم يسمع لمن هبوب

.. ومثله

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمِيَّةٍ نَاقَتِي فَازَلْتُ أَبْكَى عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْشُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفاق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ولو كانت مما يسهل ويتيسر لشيءٍ من الأشياء لتنهلت به من أجله .. فأما الجواب الأول المحكى عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائداً على ما رده ابن الأنباري انه لو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي

لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أضرانا بالذنوب لانه اذا أمن حافظ القرآن ومتعلمه
 من النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح آمنين غير
 خاشعين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم والمعنى في قول أبي امامة ان الله عز وجل
 لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري . . فأما جواب ابن قتيبة
 الثاني فمن أين له ان ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس في اللفظ ولا غيره
 دلالة عليه وأقوى ما يبطله انه لو كان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين
 رووا جميع معجزاته وضبطوها وفي وجداننا من روى ذلك وجمعه وعنى به غير عارف
 بهذه الدلالة آية إبطال ما توهمه . . فأما جوابه الثالث فباطل لأن القرآن في الحقيقة
 ليس يحمل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحراق الى الجلد دونه واذا كان الأمر
 على هذا لم يكن في قوله ان الاهداب هو المحترق دون القرآن فائدة لأن هذه سبيل كل
 كلام كتب في اهداب أو غيره اذا احترق الاهداب لم يصف الاحتراق الى الكلام لاستحالة
 هذه الصفة عليه . . ومن أعجب الأمور قول ابن الانباري وهذا يوجب أن القرآن
 غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ
 المكتوب هو القرآن ولهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو
 القرآن فاذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانباري فما المانع
 من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان أحداً لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما
 يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى أحدهما دون
 الآخر وهذا كله تخالفاً من الرجلين لأن القرآن غير حال في الجلد على الحقيقة وليست
 الكتابة عين المكتوب وانما الكتابة أمانة للحروف فاما أن تكون هي الكلام على
 الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً في حال . . فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله
 لا تسافروا بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب أن يجعل اطلاق الألفاظ المحتملة
 دليلاً على اثبات الأحكام والمعاني وممتزجة على أدلة العقول وقد تجوز القوم بأكثر
 من هذا فقلوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان فلم يقنض
 ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في دفتر وقد بين الكلام في هذا

الباب في مواضع هي أولى به .. فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه لأنه لا مزبئة للقرآن فيما ذكره على كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما في الصدور ومنه بل يكون ثابتاً بحاله فأى مزبئة للقرآن في هذا على غيره وأي فضيلة .. فان قال وجه المزبئة ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان تعالى هو المتولى لا يدعه الصدور لانهم ذلك فيه .. قلنا الكلي سواء لأن غير القرآن انما يبطل باحترق الالهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحترق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحترق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثبانه كالشرط في بطلان القرآن وثبانه فلا مزبئة على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدناه عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن مطير الأسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما أنتم منشد

الأحبذا البيت الذي أنت هاجرهُ	وأنت بتلّاح من الطرفِ ناظرهُ
لأنك من بيتٍ لعيني معجبٍ	وأملحُ في عيني من البيتِ عامرهُ
أصدُّ حياءً أن يلمَّ بي الهوى	وفيك المنى لولا عدوُّ أحاذرهُ
وفيك حبيبُ النفسِ لو تستطيعهُ	لمات الهوى والشوقُ حين تجاورهُ
فإن آتته لم أنجُ إلا بظنّةٍ	وإن يأتته غيري تنطُ بي جرائرهُ ^(١)

(١) - تنط - تربط وتعلق أي تسند - والجرائر - جمع جريرة وهي الذنب .. بقول ان آت هذا البيت رماني الناس بظنونهم وان أتاه غيري أضيف الي أي قال

وكان حبيب النفس للقلب واتراً
 فإن تكن الأعداء أحموا كلامه
 أحبك يا سلمى علي غير ريبه
 ويا عاذلي لولا تقاسه حبها
 بنفسي من لا بد أني هاجرته
 ومن قد لجأه الناس حتى اتقاهم
 أحبك حباً لن أعنف بعده
 لقد مات قبلي أول الحب فانقضي
 كلامك يا سلمى وإن قل نافي
 ألا لا أبالي أي حي تحملوا

وكيف يحب القلب من هو واتره
 علينا فإن تحمي علينا مناظره
 ولا بأس في حب تعف سرائره^(١)
 عليك لما باليت أنك خايره
 ومن أناني المنسور والعسر ذا كره
 يفضي إلا ما تجن ضميره^(٢)
 محباً ولكني إذا ليم غاذره
 ولومت أضحي الحب قد مات آخره^(٣)
 فلا تحسبي أني وإن قل حافره
 إذا إثميد البرقاء لم يخل حاضره^(٤)

الناس إنه مرسل من قبلي لمراثة من فيه

- (١) - الريبة - الظنة والهمة .. بقول أحبك حباً لا يخالطه سوء ولا يظن فيه شر .. وقوله - ولا بأس في حب تعف سرائره - أي تعف سرائر صاحبه فاضاف السرائر للعب توسعاً وإنما هي للمحب ومثله في القرآن الكريم عيشة راضية أي راض صاحبها
- (٢) - لجأه - لأمه واللاحى اللاتم في الثوب المعنف عليه .. وقوله - إلا ما تجن ضميره - يريد به أنه يظهر للناس كراهتي وبغضي لكف ألسنتهم عنه وليس في قلبه الا محبتي
- (٣) - يريد أن محبته لها ذهبت بسيرة من تقدمه من المحبين وأنه لن يأتي بعده من يذكر بالمحبة وان حبه لن يضارعه حب من تقدمه ومن يأتي بعده
- (٤) - تحملوا - بروى بدله تفرقوا - والبرقاء - اسم موضع في بادية الجزيرة .. يقول انه لا يبالي رحيل من رحل من الناس اذا كان هذا الموضع عامراً بأهلهم يرحلوا

وأشد ابن الاعرابي لابن معير

لعمرك بأبيت الذي لا تطوره
تقلبت في الإخوان حتى عرفتهم
فلا أصرم الخيلان حتى يُصارموا
فإنك بعد الشر ما أنت واجد
أحب إلينا من بلاد تطورها^(١)
ولا يعرف الإخوان إلا خيرها
وحتى يسيروا سيرة لا أسيرها
خليلا مديماً سيرة لا يدبرها

معنى - يدبرها - بقلبها مرة ههنا ومرة ههنا

وإنك في عين الأخلاء عالم
فلاتك مغروراً بمسحة صاحب
وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى
وقد تغدُر الدنيا فيضحى غنيها
وكائن ترى من حال دنيا تغيرت
ومن طامع في حاجة لن ينالها
بأن الذي يحقى عليك ضميرها
من الود لا تدرى علام مصيرها
ولكنه خيم الرجال وخيرها
فقيراً وبغنى بعد بؤس فقيرها
وحال صفاً بعد اكدرار غديرها
ومن يأنس منها أتاه يسيرها

لأنهم هم الذين يحبهم ويشفق من رحيلهم . . . وفي بعض كتب الأدب بعد هذه الايات
وبالبرق أطلال كأن رسوها قرطيس خط الخبر فيهن ساطره
أبت سرحة الأتقاد الملاحه وطيبا اذا ما نبتها اهتز ناضره

(١) - تطوره - نحوم حوله . . . يقول ان البيت الذي تجنبه وتحاماه خوف الوشاة
أحب البنا من البلاد التي تأتيها اذ لم يكن من نهوى فيها . . . ومثل هذا قول الاحوص
يا بيت عاتكة الذي اعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل
اني لا منعك الصدود واني قنما اليك مع الصدود لأميل

(١٢ - أمالي في)

وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلِ شَيْءٍ يَضِيرُهَا
فَنَفْسُكَ أَكْرَمُ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَالْكَ تَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا^(١)
[قال المرتضى] رضى الله عنه ولى في معنى قول ابن مطير - وقد تغدر الدنيا -

والبيت الذى بعده من جملة قصيدة

وكيف آتس بالذنيا ولست أرى إلا امرأ قد تعرّى من عواربها
نصبوا إليها بأمالٍ مخيبة كأننا ما نرى عُقبى أمانبها
في وحشة الدار ممن كان يسكنها كلُّ اعتبار لمن قد ظلَّ يأويها
لا تكذبنَّ فما قلبي لها وطنٌ وقد رأيتُ طولاً من مغانيبها
•• وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أنشدنا على بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد

ابن يحيى نعلب للحسين بن مطير

لقد كنت جلدًا قبل أن تُوقد النوى علي كبدِي ناراَ بطيئًا خمودها
ولو تترك نارُ الهوى لتصرمت ولكن شوقًا كلَّ يومٍ يزيدُها
وقد كنت أزجو أن تموت صبايتي إذا قدمت أجزانها وعهودها
فتقد جعلت في حبة القلب والحشا عهدُ الهوى تُولي بشوقٍ يعيدُها
بمرئجة الأزداف هيفٍ خصورها عذابٍ ثناياها عجافٍ قيودها^(٢)

(١) - يقول ان النفس لا تميل بطبعها الا الى الشرور فن اطاع نفسه وانا لها مشتهاها

وقع في شرور كثيرة وقاده الى ما يضره

(٢) - مرئجة الازداف - يريدان اردافها ضخمة فهي اذا تحركت اضطربت اردافها

- وهيف - جمع هيفاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن - وعجاف - جمع عجفاء وهي

النجيفة وهذا الجمع شاذ فان افعال وفعلاء لا يجمع على فعال الا انهم بنوه على سمان

يعني انها عجاف المئات وأصول الاسنان وهي قيودها .. قال أبو العباس ثعلب عجاف
 بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله أن يكون نصباً لانه حال من الثنايا
 مَحْصَرَةَ الأَوْسَاطِ زَانَتْ عُهُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهُ عُقُودُهَا
 وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٌ أَكْفُهَا وَسُودٌ نَوَاصِيهَا وَبَيْضٌ خُدُودُهَا

وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة أكفها من الخضاب

يُمَيِّنُنَا حَتَّى تَرُفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الخَزَامِي بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

أخذ .. قوله مَحْصَرَةَ الأَوْسَاطِ البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة

وَتَرِيدِينَ طَيِّبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا إِنْ تَمَسَّيْهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير وروى

له أيضاً ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة

وَكُنْتُ أذُودُ العَيْنِ أَنْ تَرِدَ البُكَاءُ فَقَدُورَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أذُودُهَا

هَلْ اللهُ عَافٍ عَنِ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ أَمْ اللهُ إِنْ لَمْ يَغْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا

وأشد أبو محكم لابن مطير

قَضَى اللهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ بَارِحًا أَحْبَبُكَ حَتَّى يَغْمِضَ العَيْنَ مُغْمِضُ

وَإِنْ كَانَ بَلَوِي غَيْرَ أَنْ لَا يَسْرُنِي وَحُبُّكَ بَلَوِي غَيْرَ أَنْ لَا يَسْرُنِي

أِذَا نَارُضْتُ النَفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا أَتَى حُبَّهَا مِنْ ذُونِهَا يَتَعَرَّضُ

فِيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَي الشُّوقِ مُقْرَضُ

لاهم قد بينون الشيء على ضده كقولهم عدوة بالهاء لمكان صديقة وعجاف لا مالع من

جعلها صفة للمرأة وان انكره ثعلب

ويشبه أن يكون أخذ قوله إذا أثارُضت النفس في حب غيرها من قول رجل من قزارة
 وأعرضُ حتى يحسبَ الناسُ أنما بيَ الهجرُ لا والله ما بي لك الهجرُ
 ولكن أروضُ النفسَ أنظرُهل لها إذا فارقت يوماً أحبَّتها صبرُ
 أو من قول نصيب

وإني لأستحي كثيرًا وأتقي عدوًا وأستبقي المودةَ بالهجرِ
 وأنذرُ بالهجرانِ نفسي أروضها لأعلم عند الهجر هل لي من صبرِ

ويشبه أن يكون أخذه قوله فياليتني أقرضت جلدًا صباغي البيت من قول بعض العرب
 رمى قلبه البرقُ الملالِي رَمِيَةً بجنبِ الحما وهذا فكاد يهيم
 فهل من معين طرفَ عينِ خليةٍ فإنسانُ عينِ العامريِّ كليمٌ^(١)
 وللحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني بها كبدًا لنست بذاتِ قروحِ
 أبا الناسِ ويب الناسٍ لا يشترُونها ومن يشتري ذاعلةً بصحيحِ

وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال

من ذا يعبرك عينه تبكي بها أرأيتَ عينًا للبكاءِ تعارُ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيم قال حدثني يموت بن المزرع قال
 حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشده رجل أبيات دِعبِلِ

أين الشبابُ وأية سلكا لا أين يطلبُ طَلَّ بل هلكا
 لا تعجبي يا سلمُ من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكي

(١) - يقول انه يريد عينه غير عاشقة لينظر بها الى ديار أحبته فان طرفه مجروح

سقيم من العشق لا يستطيع أن ينظر به

أَسْلَمَ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقُصَةٌ لَا سُوقَةً تُبْقِي وَلَا مَلِكًا
 قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْكَ مُشْتَرَكًا
 يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَوْمَكُمَا يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِيكَا
 لَا تَأْخُذًا بِظِلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي أَشْتَرَكَا

قال فاستحسنها كل من في المجلس وأكثر التعجب من قوله - ضحك المشيب برأسه
 فبكي - فقال الأسمعي إنما أخذ قوله هذا من ابن مطير في قوله

أَبْنُ أَهْلِ الْقِيَابِ بِالذَّهْنَاءِ أَبْنُ جَيْرَانِنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ
 جَاوَرُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوْرَ الْأَفَاحِي تُجَادُّ بِالْأَنْوَاءِ (١)
 كُلُّ يَوْمٍ بِأَقْحَوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ

وقد أخذه أيضاً مسلم بن الوليد صريع الغواني في قوله

مُسْتَعْبِرًا يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِي الشَّيْبِ

•• [قال المرتضى] رضى الله عنه ولائبي الحبيضاء نصيب الأصغر مثل هذا المعنى وهو قوله
 فبكي الغمام به فأصبح روضه جدلان يضحك بالحميم ويزهر

ولابن المعتز مثله

أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَحْيَاءٍ دِيمَةٍ إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضِحْكَ الزَّهْرِ

ولابن دريد مثله

تَبَسَّمَ الْمُرْتُّ وَأَنْهَلَتْ مَدَامِعُهُ فَأَضْحَكَ الرَّوْضَ جَفْنُ الضَّاحِكِ الْبَاكِ

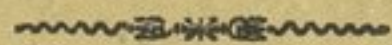
(١) - الدهناء - أرض من منازل تميم بنجد متسعة إذا أخصبت ربعت العرب جميعا

لسمها - والاحساء - ماء لغني ويروى البيت الاول

أَبْنُ جَيْرَانِنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ أَبْنُ جَيْرَانِنَا عَلَى الْأَطْوَاءِ

وغازلَ الشمسَ نَوْزَ ظَلِّ يَلْحَظُهَا بِعَيْنِ مُسْتَعْبِرٍ بِالذَّمْعِ ضَحَّاكٍ
 وروى عن أبي العباس المبرد أنه قال أخذ ابن مطير . . . تضحك الأرض من بكاء السماء
 من قول دكين الزاجر

جَنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكِي وَضَحَكَ الْمُنْزُ بِهِ حَتَّى بَكَى



مجلس آخر ٣٣

[تأويل آية] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
 ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم
 يقولون آمناً به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) . . . الجواب قلنا قد
 ذكر وجهان مطابقان للحق . . . أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوف على اسم
 الله تعالى فكأنه قال وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وأنهم مع علمهم
 به يقولون آمناً به فوق قوله يقولون آمناً به في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين
 آمناً به كل من عند ربنا وهذا في غاية المدح لهم لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا
 التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم . . . والحجة لمن
 ذهب إلى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله يقولون
 آمناً بالله على هذا التأويل لا ابتداء له مثل قوله (ما أقر الله على رسوله من أهل
 القرى فقه وللرسول ولذي القربى) إلى قوله (شديد العقاب) فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل
 وتسمية من يستحق هذا النية فقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم
 وأموالهم يتبعون فضلا من الله ورضواناً) إلى قوله الصادقون وقال في الذين تبوءوا الدار
 والايمن فهم الأنصار يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم وقال فيمن جاء
 بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان فهذه الآيات تدل على أنه
 لا يشكر في آية الراسخون في العلم أن يكون قوله يقولون آمناً به حلال مع العلم بتأويل

المتشابه فلو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين هاجروا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا في أنه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمناً به فإن
الصورتين واحدة * * * وما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد
له كان يسمى برداً بابه ^(١) ثم ندم عليه

(١) قلت كان من حديث يزيد في بيعه غلامه برداً أنه كان صاحب زياد بن أبي سفيان
فلم يحمده وأتى ابنه عبادة فرأى منه ما يكره وكان عبادة طويل اللحية عريضها فركب ذات
يوم وابن مفرغ معه في موكبه فهبت ريح فنفشت لحيته فقال ابن مفرغ
ألا ليت اللحي كانت حشيشاً فترعاها خيول المسلمين
فبلغ ذلك عبادة فحمد عليه وجفاه فقال ابن مفرغ

ان تركى ندى سعيد بن عثمان ففى الجود ناصري وعديدي
واتباعي اخا الرضاة واللؤم لنقص وفوت شأور بعيد
قلت والليل مطبق بعراه ليتنى مت قبل ترك سعيد

يريد سعيد بن عثمان بن عفان فإنه استصحب يزيداً هذا حين ولي خراسان فلم يصعبه
وعدل عنه الى زياد فلما قال ذلك أخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وعذبه وسقاه الزبد في
التيبذ وحمله على بعير وقرن به خنزيرة وأمشاء بطنه مشياً شديداً فكان يسيل ما يخرج منه
على الخنزيرة فتصى فكلمها صامت قال ابن مفرغ

ضجعت سمية لما مسها القرن لا تجزي إن شر الشيمة الجزع

وسمية أم زياده * * * ثم ان عبيد الله بن زياد دس اليه قوماً يقتضونه ويستعدون عليه فأمر
ببيع ما وجد له في اعطاء غرمائه فكان فيما بيع له غلام يقال له برد يعدل عنده ولده
وجارية يقال لها الاراكة فقال في برد الايات التي ذكرها صاحب الكتاب وقال في
الاراكة وفيه

يا برد مامسنا دهر أضربنا من قبل هذا ولا بعناله ولدا
أما الاراكة فكانت من محارمنا عيشاً لذيقا وكات جنة رغدا
لولا الدعى ولولا ما تعرض لي من الحوادث ما فارقتها أبدا

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كَنْتُ هَامَةً
 أَوْ بَوْمَةً تَذَعُو صَدَا بَيْنَ الْمُشَقَّرِ فَأَلِيمَامَةً
 الرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي النَّيَامَةِ

فمعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع فكأنه قال والبرق أيضاً يبكيه لامعاً في غمامه أي في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة . . . ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم وأثبت العلم بالمشابهة لهم أن قوله يكون يقولون آمناً به استئناف جملة استغنى فيها عن حرف المعطف كما استغنى في قوله يقولون ثلاثة رابعهم كلهم . . . ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس في الجملة الأولى فيستغنى به عن حرف المعطف ولو عطف بحرف المعطف كان حسناً ينزل الملتبس منزلة غير الملتبس . . . والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بأنهم يقولون آمناً ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأول لأنه قد يسمى تأويلاً قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) المراد بذلك لا محالة المتأول والمتأول الذي لا تعلمه العلماء وإن كان تعالى عالماً به كنعوه وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصفات إلى غير ذلك فكأنه قال وما يعلم تأويله جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلا الله والعلماء يقولون آمناً به وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه وقوّاه وضعف الأول بأن قال قول الراسخين في العلم آمناً به كل من غند ربنا دلالة على استسلامهم لأنهم لا يعرفون تأويل المشابهة كما يعرفون تأويل الحكم ولأن ما ذكره من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغار والكبار هو من تأويل القرآن إذ كان داخلاً في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك . . . وليس الذي ذكره بشيء لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمشابهة آمناً به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به وما المتكبر من أن يظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويحققه فأما قوله ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن فذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حملت هذه اللفظة على المتأول

لا على الفائدة والمعنى وأما اذا حملت على انه وما يعلم معنى التشابه وفائدته إلا الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه أن يقول ان حمل التأويل على المتأول أظهر من حمله على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى أظهر وأكثر في الاستعمال وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل ان الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبله انه لو كان المراد بالتأويل المتأول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم معنى لان في متأول المحكم كإخباره عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه الا الله تعالى فأى معنى لتخصيص التشابه والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه ألا ترى الى قوله (وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) نخص التشابه بالذكر والأولى أيضاً أن يكون المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الأولى وقد علمنا ان الذين في قلوبهم زيغ انما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا لتأويله الذى هي متأوله والوجه الأول أقوى وأرجح .. ويمكن في الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويله التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا صحيح لان أكثر التشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة العقول فيذكر المتأول جميعاً ولا يقطع على مراد الله منها بعينه لان الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم في الجملة أن لا يرد من المعنى ما يخالف الأدلة وان قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس في تكليفنا أن نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على أنه تعالى لم يردده ومنها وجوه تطابق الحق فتعلم في الجملة انه قد أراد أحدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآي المتشابهة فان أكثرها يحتمل وجوهاً والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح ولا يحتمل سواء ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون في العلم يقولون آمناً به أى صدقنا بما نعلمه مجملاً ومفصلاً من المحكم والتشابه وان الكل من عند ربنا وهذا وجه واضح .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال (١٣ - أمالي في)

أشدنا محمد بن يزيد لأبي حبة النخيري وهي أبيات مختارة

وخبرك الواشون أن لا أحبكم
أصد وما الصد الذي تعر فيه
حياء وبغيا أن تشيع غيمة
وإن دما لو تعلمين جنيته
أما إنه لو كان غيرك أرفلت
ولكنه والله ما طل مسلما

قال نعلب - الملاغم - ما حول الفم .. وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض

.. وقوله - ما طل مسلما - أي أبطل دمه

إذا هن ساقطن الحديث حسبته

ويروي ساقطن الأحاديث للفتي .. ويروي أيضا ساقطن الحديث كأنه

رمين فأفصدن القلوب فلا تری
دما مائرا إلا جوى في الحيازيم

[قال سيدنا رضى الله عنه] .. ومن مستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله

كأن لم أبرح بالعيون وأقتل

ولم أله بالحدث الألف الذي له

(١) - أبرح - من برج به الأمر إذا لقي منه شدة والبرح الشدة - وتفتير - من

الفتور وهو انكسار العين - والسقام - جمع سقيمة وهي المريضة ولم يرد أنها سقيمة

من مرض وإنما أراد أن بها من الضعف والفتور ما بالمرضى وإن لم تكن مريضة

(٢) - الحدث - الصغير السن - والألف - العظيمة الفخذين - والغدائر - جمع

غديرة وهي الخصلة من الشعر - والفار - جمع فأرة يريد فأرة المسك - والعظام - جمع

لعظمة وهي المسك

إِذَا اللَّهُ يُطَيِّبُنِي وَإِذَا اسْتَمِيلُهُ بِمَحْلُولِكَ الْفُودَيْنِ وَحَنْفِ الْمَقَادِمِ^(١)
وَإِذَا أَنَا مُنْقَادٌ لِكُلِّ مُقَوِّدٍ إِلَى اللَّهِ حِلَافِ الْبَطَالَاتِ آثِمِ

وروى ابن حبيب مفود ومعنى -خلاف البطالات- أى حلاف فى البطالات
مُهَيَّنُ الْمَطَايَا مُتَلَفٌ غَيْرَ أَنِّي عَلَى هَلِكٍ مَا اتَّفَقْتُهُ غَيْرَ نَادِمِ
أَرَى خَيْرَ يَوْمِي الْخَسِيسِ وَإِنْ عَلَا بَنَى الْوُؤْمُ لَمْ أَحْفَلِ مَلَامَةً لِأَثِمِ
-خير يومى الخسيس- أى أحب يومى الى الذى هو أخس عند أهل الرأى والعقل
وأشد أبو اسحاق ابراهيم بن سيف بن الزياى لأبى حية واسمه هيم^(٢) بن الربيع

تَرَحَّلَ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا فَلَيْتَ الشَّيْبُ كَانَ بِهِ الرَّحِيلُ
وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ لَنَا خَلِيلاً فَقَدْ قَضَى مَا رَبَّهُ الْخَلِيلُ
لَعَمْرُ أَبِي الشَّبَابُ لَقَدْ تَوَلَّى حَمِيدًا مَا يُرَادُ بِهِ بَدِيلُ

(١) -يطيبنى- يستمىنى -والمحلولك- الحالك اللون أى الذى لونه أسود
-والفودان- تنية فود وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس -والوحنف-
الشعر الكثير الأسود -والمقاديم- جمع قادمة وهو الناصية

(٢) قلت ذكره بعض الأدباء فقال كان أبو حية يروى عن الفرزدق وكان كذاباً
قال يوماً رميت ظبية فلما خرج سهم ذكرت بالظبية حبيبة لى فشددت خائف السهم
حتى أخذت بقذذه وكان جباناً قال جارله اطلعت عليه يوماً وبيده سيف له قد انتضاء
بسمى لعاب المنية ليس بينه وبين الخشب فرق وهو واقف على باب داره يقول لىها
أبها المقتر بنا والمجترى علبنا بنس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب
المنية الذى سمعت به ضربته لا تخاف نبونها أخرج بالعفو عنك لأدخل بالعقوبة عليك
انى والله ان أدع قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ثم
فتح الباب فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلباً وكفانا حرباً

إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَكَةِ الدُّنْيَا ظَلِيلٌ
وَأَنشُدُ الْمَبْرَدُ قَالَ أَنشَدَنَا أَبُو عَمَانَ الْمَازِنِيُّ لِأَبِي حَبِيبَةَ

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَعْنَ لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقِصَارَا
زَمَانَ عَلَى غُرَابٍ غَدَا فُطَيْرُهُ الدَّهْرُ عَنِّي فَطَارَا
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابَ وَإِنْ هُوَ لَمْ يُبْقِ إِلَّا أَدِ كَارَا
كَأَنَّ الشَّبَابَ وَلَذَاتِهِ وَرَيْقَ الصَّبَا كَانَ ثَوْبًا مُعَارَا
وَهَازِنَةٌ أَنْ رَأَتْ لَمَّتِي تَلَمَّعَ شَيْبٌ بِهَا فَاسْتَدَارَا
وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخِطَامِ عِدَارَا فَمَا اسْتَطِيعَ اعْتِدَارَا
أَجَارَتْنَا إِنْ رَبَّ الزَّمَانَ قَبْلِي نَالَ الرَّجَالَ الْخِيَارَا
فَأَمَّا تَرَى لَمَّتِي هَكَذَا فَاسْرَعَتْ فِيهَا لِشَيْبِي النَّفَارَا
فَقَدْ أَرْتَدِي وَحَفَّةَ طَلَّةَ وَقَدْ أَبْرَزُ وَالْفَتِيَاتِ الْخِفَارَا

أما قوله - على غراب غدا - فأراد بالشباب والشعر الأسود . ويشبه أن يكون مأخوذاً
من قول الأعشى

وَمَا طَلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ تُذَرِكُهُ إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدْ وَقَعَا
ولأبي حبيبة من قصيدة أولها

أَلَا يَا اسْلَمَى أَطْلَالَ خَنَسَا وَأَنْعَمِي

وَحَنَسَا مَخْصُصُ الْوِشَاحِينَ مَشِيهَا إِلَى الدَّوْحِ أَقْتَارُ خَطِي الْمُنْتَجِمِ (١)

(١) قوله - مخمص الوشاحين - أي هيفاه والوشاح تشبيهه وشاح وهو أديم عريض ترصعه المرأة
بالجواهر فتشده بين عاتقها وكشعبها فإذا قالوا مخمص الوشاح أو غرني الوشاح أرادوا أنها

أَلِمَّا بَسَلْمِي قَبْلَ أَنْ تَزْمِي النَّوْمَى
 بِنَافِذَةِ نَبْضِ الْفُؤَادِ الْمُتَمِيمِ
 يَقِفُ عَاشِقًا لِمِ يَبْقُ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ
 وَلَا عَقْلَهُ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
 فَقَلَنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُخُ
 صَحِيحًا فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْعَمِي
 فَأَلَقْتَ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقْتُ
 بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفَّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْدِ إِسْقَاطُهُ
 فَتَنَاوَلْتَهُ وَأَتَقْتَنَا بِالْيَدِ^(١)

ولقوله - وقلن لها سرًا فديناك لا يرخ - خبر وهو ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقراني قال اتصل بعبيد الله بن ساجان بن وهب أمر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم ابنه وسمع شيئاً من أهاجيه فقال لأبي الحسين قد أحببت أن أرى ابن روميك هذا فدخل يوماً بعبيد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فأنشده وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلاً فقال لأبي الحسين بينه وبينه أن لسان هذا أطول من عقله ومن هذه سورته لا تأمن عقاربه عند أول عتب ولا يفكر في عاقبته فأخرجه عنك فقال أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه في دولتنا وبذيعه في تمكنا فقال يا بني إني لم أورد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حبة النخيري

هيفاء محل الوشاح - وأفتار - من أفتار في النفقة إذا ضيق فيها - والمنجشم - المتكافئ
 للشئ ٠٠ بقول أنها تمشي مشى إدلال كما يمشى من لا يستطيع المشى

(١) - النصيف - المزر - واتقتنا باليد - أي حالت بيننا وبين النظر إليها بوضعها معصمها على وجهها يصف بذلك المتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكان النابغة يجلس إلى النعمان ويناديه فدخلت المتجردة يوماً على النعمان وعنده النابغة وهي لا تعلم بمكانه فلما وقع بصرها عليه اضطربت واستنجبت وسقط مزرها فتناولته بيدها وسترت وجهها باليد الأخرى ويقال أنها وضعت معصمها على وجهها فستره فلم يستبين منه شئ

فَقَلْنَا لَهَا سِرًّا فِدَيْنَاكَ لَا يَرُخُ سَلِيمًا وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِي

حدث القاسم بن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير أعزه الله أشار بان يغتال حتى يستراح منه وأنا أكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فأتت . . قال الباقراني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وإنما قتله عبيد الله . . قال ابن الرومي لما رجع إلى داره وقد دب السم في أعضائه شعراً

أَشْرَبُ الْمَاءَ إِذَا مَا تَلْتَهَبُ نَارَ أَحْشَائِي لِإِطْفَاءِ اللَّهَبِ
فَأَرَاهُ زَائِدًا فِي حُرْفَتِي فَكَانَ الْمَاءُ لِلنَّارِ حَطَبًا

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما فضلنا لتخلصه من التكليف وسلامته من الزيد وبعده من الاستعانة قول أبي حبة

رَمَتْنِي وَسَتَرُ اللَّهِ يَنِي وَيَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْزَمْتَنِي رَمِيَّتُهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمته وأصابني بمحاسنها ولو كنت شاباً لرميت كما رمته وفنات كما فنات ولكن عهدي قد نطاول بالشباب وهذا كلام واضح . . وأما الاستعانة فهي أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصح وزناً أو نظماً . . قال ومما يختار من قول أبي حبة أيضاً

الْأَحْيَى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لِبَسْنِ الْبَلِيِّ مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا^(١)
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

(١) قوله من أجل الحبيب - روى بدله من بعد الحبيب - والمغاني - جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم طعنوا عنه وقوله - لبسن البلي - يريد أن طول العهد واختلاف الصبرين عليها أخلق جدها وطمس رسومها

ويقال ان أحسن ما وصف به المسواك قول أبي حية

لقد طال ما أعيت راحلة الصبا
وعللت شيطان الغوي المشوق
ودأوت قرح القلب منهن بالمنأ
وباللحظ لو يبذلنه المتسرق
وساقيني كأس الهوى وسقيتها
رقاق الثنايا عذبة المتريق
وخمصانة تفره عن متضد
كنوز الأفاحي طيب المتذوق

وبروي عن متسق يعني نقرأ على نسق واحد لا اختلاف فيه

إذا مضفت بعد امتاع من الضحى
أنا ييب من عود الأراك المخلق
سقت شعث المسواك ماء غمامة
فضيضاً بخرطوم المدام المروق

الامتاع - الارتفاع يقال منع النهار وأمتع اذا طال - والمخلق - الذي علق به الخلق
والطيب من يدها .. وقال بعضهم عنى بالخلق المملس - والفضيض - الذي سال من
الغمامة أى كياه فض - والخرطوم - سلاف الحمر وهو أول ما يخرج من غير عصر ولادوس
وإن ذقت فاهاً بعد ما سقط الندى
بمظني بجنداة رداح المنطق

البغندة - الضغمة - والرداح - العظيمة الأرداف

شممت العرار الطل غب هميمه
ونور الخزامى في الندى المترق

العرار - بهار البر - والطل - الغض الطري - والهميمة - مطر لبن .. وأخبرنا المرزباني

قال حدثني علي بن هارون بن علي قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حية

نظرت كأني من وراء زجاجة
الى الدار من فرط الصباية أنظر

بميين طوراً يفرقان من البكا
فأعشى وطوراً يجسران فأبصر

فقال لو اعترضني ملك نجب طاعته ويلزم الانقياد لامره فقال أى شعر أجود وأولى

بان يستحسن ولم يفسح لى فى أن أميز المدح من الفخر والمجاء من التشبيب وسائر أصناف

الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين .. ويقال ان أبا أحمد عبيد

الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتي أبي حبة هذين بقوله
فَلَا مَقْلَتِي مَا غَامَرَ الْمَاءُ تَدَجَلِي وَلَا دَمْعَتِي مِنْ مُكْمِدِ الْوَجْدِ تَقَطُرُ

ولأبي حبة

مِنَ الْعُنْكَيَاتِ الْجِلْدَ حَتَّى كَأَنَّمَا يَسْحُ بِعَيْنَيْهِ الدَّمُوعَ شَعِيبُ
-الشعيب- مزادة من أدمين شعب أحدهما بالآخر

لِيَالِي أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوْلَانَا سَوَائِمُ مِنْهَا رَائِحٌ وَغَرِيبُ
وَإِذْ يَتَجَنَّبُ الذُّنُوبَ وَمَا لَنَا إِلَيْهِمْ لَوْلَا وَدُهْنٌ ذُنُوبُ

ولأبي حبة

أَصُدُّ عَنِ الْبَيْتِ الْحَيْبِ وَإِنِّي لِأَصْنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ
أَزُورُ يُبُونَا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلُهُ عَلِي مَاعَدَا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
وَقَطَعَ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ مَعَشَرُ غَضَابٌ وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مُغَضِبُ
وَإِنْ لَأُنِي يَا أُمَّ عَمْرٍ وَنَيْمَةٌ يَدِبُ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَقْرَبُ
وَمَا يَنْتَنَّا لَوْ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ الْأَلَى يُولُونَ مَا يَتَرْتَبُ
حَدِيثًا إِذَا لَمْ يَخْشَ عِيًّا كَأَنَّهُ إِذَا سَاقَطَتْهُ الشَّهْدُ بَلْ هُوَ أَطِيبُ
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سُكْرَةٍ مِنَ الْمَوْتِ كَادَتْ سُكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ
وَقُلْتُ لَهَا مَا تَأْمُرِينَ فِإِنِّي أَرَى الْبَيْنَ أَذْنِي رَوْعَهُ يَتَرَقَّبُ

قال محمد بن يحيى العولي ولا أحسبه في قوله لو أنك تستشفى به بعد سكرة إلا تبع

قول توبة بن الحمير

وَلَوْ أَنَّ لَيْلِي الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمْتُ عَلِيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقِي الْيَهَاصِدِي مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وأوّل من سبق الى هذا المعنى فأحسن الأعتى في قوله

غَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَد دَرَّ عَتْ صَفْرَاءَ مِثْلَ الْمَهْرَةِ الضَّامِرِ
لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا وَاعْجَبًا لِلْمَيْتِ النَّسَائِرِ

ومعنى الناشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشروهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق فهو مدفوق .. وقال بعض أصحاب المعاني ان الجارية التي وصفها أيضاً هي ميتة بمعنى أنها ستموت فيكون المعنى ان الناس عجبوا من أن يكون من يموت كيف ينشر الموتى ومن قال هذا أجاز نشر الله الموتى بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظن الأعتى عنى غيره

﴿ مجلس آخر ٣٤ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .. فقال لم يخص اليوم بالقول وإنما أراد العفو عنهم في جميع مستقبل أوقاتهم .. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أربعة .. أولها انه لما كان هذا الوقت الذي أشار اليه هو أوّل أوقاته التي كشف فيها نفسه لهم وأطلعهم على ما كان يستره عنهم من أمره أشار الى الوقت الذي لو أراد الانتقام لا يبدأ به فيه والذي عنى فيه عنهم لم يراجع الانتقام .. وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفتح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم (لا تريب عليكم اليوم) أى قد انقطع عنكم توبيخي ومضى عندي ولائتي عند اعترافكم بالذنب وكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاقبة والتوبيخ وعلى ان الأوقات المتصلة باليوم تجرى مجراه في زوال الغضب وتتمام (١٤ - امالي في)

العفو وسقوط الموافقة لهم على ما سلف منهم .. ونالها^(١) ان ذكر اليوم المراد به الزمان
والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والأيام والشهور والسنين كما
يقول العربي لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وفقت لتركها ومقتها يريد في
هذا الزمان ولا يريد يوماً واحداً بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن فنون
العلم فاليوم ما يعجزك مسألة ولا تتوقف عن جواب يريد باليوم باقي الزمان كله ..
وقال امرؤ القيس

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ أُمْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ
فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ^(٢)

لم يقصد يوماً بعينه .. ومثله

الْيَوْمَ يَرْحَمُنَا مَنْ كَانَ يَغِيبُنَا وَالْيَوْمَ تَتَّبَعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا

(١) - قلت هذا هو الجواب الصحيح وایضاح ذلك ان العرب اذا أطلقت الليل
فانما يريدون به سواد الليل من حين تغرب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واذا أطلقت
اليوم فقد تريد به بياض النهار كما اذا قالوا جالست فلانا يوماً وقد تريد به مطلق الوقت
أي ساعة من ليل أو نهار كما في قوله صلى الله عليه وسلم تلك أيام الهرج أي وقته
وفرقان ما بين ذلك انهم اذا قرنوا به من الافعال ماله استمرار أرادوا منه بياض النهار
كالجأسة والمحادثة ونحوها مما يسوغب وقتاً طويلاً واذا قرنوا به من الافعال ما ليس
له استمرار بل هو من الافعال الآتية أرادوا به مطلق الوقت وعلى هذا الآية وما
استشهد به المصنف من الشواهد الشعرية

(٢) - الواغل - الذي يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير
دعوة فأما الذي يأتي الولاثم من غير دعوة لياكل فيسمى وارشا وراشنا والتاس يسمونه
طفيليا نسبة الى طفيل وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي
الولاثم من غير ان يدعى اليها وكان يقول وددت ان الكوفة كلها بركة مصهجة فلا
يخفى علي منها شيء

•• وقال ليبيد

وما الناس إلا كالديارِ وأهلها بها يوم حلوها وغدواً بلاقع

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم والفسد فيه الا جميع الأوقات المستقبلية •• ورابعها أن يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم •• وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله •• فأما معنى التثريب فان أبا عبيدة قال معناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد •• وقال الشاعر

فعضوتُ عنهم عفو غير مُثَرَّبٍ وتركتهم لعقاب يوم سرمد

•• وقال أبو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه •• وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في الموم والتعنيف والنقصي الى أبعد غاياتها

[تأويل خبر] •• روى أبو عبيد الله ان قاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الرمازة •• وقال أبو عبيد قال حجاج الرمازة الزانية وقال مثل هذا مثل حديثه الآخر انه نهى عن كسب البغي •• قال أبو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة بتقدم الراء قال وقول حجاج أثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون إيمانهم على البغاء فأنزل الله (ولا تکرهوا قنبا تکرهوا على البغاء ان أردن نجساً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) قل فالمرض هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه •• قال أبو عبيد ولا أعلم ثم أخذت الرمازة غير أنني وجدتها مفسرة في الحديث •• وقال ابن قتيبة الأمر على ما ذكر أبو عبيد إلا ما أنكره على من زعم انها الرمازة لأن الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز أي تومي بعينها وحاجبها وشفيتها •• قال الفراء وأكثر الرموز بالشفيتين ومنه قوله تعالى (أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار إسماً لها أو كلاًسماً ولذلك قيل لها

هلوك لانها تهالك على الفراش أو على الرجل ثم صار إسماً لها دون غيرها من النساء وإن تهالكت على زوجها وقيل لها خرع للينها وتثنها ثم صار ذلك إسماً لها دون غيرها من النساء وإن لانت وتثنت ونحوه قوطهم للبعير أعلم لشق في مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قوطهم للذئب أزل للرسخ ثم صار كالاسم له والمرمزة لانكاد تعان بالكلام انما تومض أو ترمز أو تصفر .. قال الشاعر

رَمَزَتْ إِلَيَّ مَخَافَةً مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُو هُنَاكَ كَلَامُهَا

.. وقال الأخطل

أَحَادِيثُ سَدَّهَا ابْنُ حَدْرَاءَ فَرَقَدْتُ وَرَمَّازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا

.. وقال الراجز

يَوْمَيْنِ بِالْأَعْيُنِ وَالْحَوَاجِبِ إِيْمَاضُ بَرْقٍ فِي عَمَاءٍ نَاصِبٍ^(١)

– والعماء – السحاب – والناصب – البعيد .. وقال بعضهم انما قيل للفاجرة حبة من القحاب وهو السعال قال وأحسبه أراد أنها تنعنعج أو تسعل ترمز بذلك .. قال وبلغني عن المفضل انه كان يقول في قول الناس أجبين من صافر انه الرجل يصفى للفاجرة فهو يخاف كل شيء .. وأما الأسمي فانه كان يقول الصافر ما يصفى من الطير وانما وصف بالجبين لانه ليس من الجوارح .. وقال ابن قتيبة ولا أرى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكعب بن زيد الأسيدي

أَزْجُولِكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ كَلْبًا كَوْرَهَاءَ تَقْلِي كُلَّ صَفَّارٍ^(٢)
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيَتَهَا مِنْ قَابِسٍ شَيْطَ الْوَجَعَاءِ بِالنَّارِ

(١) أُلشده في اللسان في مادة زم ريمضن بالعين والحواجب – والمعنى واحد –

(٢) – الورهاء – المرأة الخمقاء – وتقلي – تكرر وتبغض – وآيتها – أي علامتها

يريد ان ذلك كان علامة بينها وبين خليلها اذا جاء يريدها – والوجعاء – الاست –

– وشيطة – يقولون شيطة فلان اللحم اذا دخنه بالنار ولم ينضجه وشيطة الطاهي الرأس والكرع

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها به وصفر لها فأنته فشيئها بميسم
فلما أعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفار تريد انا قد عففتنا وأطرحنا كل فاجر .. وقال
ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندي الزمارة معجزة الزاي على ما قال أبو
عبيد لحجج ثلاث .. احدها من اجماع اصحاب الحديث على الزمارة .. والحجة الثانية
ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمرة عند العرب الحسن .. قال
عمرو ابن أحرر الباهلي يصف شراباً وغناءً

دَنَانٍ حَنَّانٍ بَيْنَهُمَا رَجُلٌ أَجَشُّ غِنَاؤُهُ زَمَرٌ

.. قال الأصمعي معناه غناؤه حسن كأنه مزامير داود .. والحجة الثالثة أنهم سموا
الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قولهم لعجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف
ويقال رجل زمر المرؤة اذا كان قليلها .. قال ابن أحرر

مُطَلَّنِمًا لَوْنُ الْحَصِيِّ لَوْنُهُ بِحَجْرٍ عَنهُ الذَّرُّ رِيَشٌ زَمَرٌ

- المطنني - الصوق بالأرض - والذر - الثمل - والزمرة - القليل .. فسمي البغي
زمارة على وجه الذم لها والتصغير لسانها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فخر
الرجل اذا مال .. قال ليبيد

فَإِنْ تَقَدَّمَتْ تَنْشَ مِنْهَا مُقَدَّمًا غَلِيظًا وَإِنْ أَخَّرْتَ فَالْكَفْلُ فَاجِرٌ (١)
أي مائل - والكفل - كسالة يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق .. [قال المرتضى]

اذا أشعل فيهما النار حتى يتشيط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوطة
(١) قلت قال ليبيد ذلك يخاطب عمه أبا مالك وكان وقع بينهما ما يوجب العتب
وقبل هذا البيت

فقلت ازدرج أحناء طيرك واعلم بانك إن قدمت رجلك عائر

فأصبحت أنى تأتها تلبس بها كلاماً مريباً تحت رجلك شاجر

- ازدرج - أزجر - وأحناء طيرك - أي جوانب طيشك - والشاجر - المختلف

رضى الله عنه ولا أرى لاحدي الروابطين على الأخرى رجحاناً لأن كل واحدة منهما
 قد أتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة وتأويل يرجع الى
 معنى واحد لان الرمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى
 معنى الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة فالرجع في معناها الى ذلك أيضاً على الوجهين
 اللذين ذكرهما ابن الانباري فلا ولي أن يثبتنا متساويين ويكون الراوي مختبراً بينهما .
 أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا
 أحمد بن يحيى الثعلبي عن ابن الاعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى

وما زلت أزجو نفع سلمي ووُدّها وتبعد حتى أبيض مني المسامحُ

وحتي رأيت الشخص يزداذُمائه إليه وحتي نصف رأسي واضحُ

علاً حاجبي الشيبُ حتى كأنّه ظباء جرت منها سنيح وبارحُ ^(١)

(١) يقول ان الشيب انتشر في حواجبها فكانه الظباء البيضاء انتشرت في الصحراء
 في كل صوب - والسامح - ما ولاك بيامنه - والبارح - ما ولاك ميامره . قال ابن ربي
 والعرب تختلف في العيافة يعني في التيمن بالسامح والتشائم بالبارح فأهل نجد يتيمنون
 بالسامح قال ذو الرمة

خليلي لا لاقيتما ما حبيبتما من الطير الا السامحات وأسعدا

وقال النابغة

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الاسود

وقال كثير وهو حجازي يتشاهم بالسامح

أقول اذا ما الطير مرت مخيفة سوانحها تجرى ولا أستثيرها

هذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدى لغة الحجازي فن ذلك قول عمرو بن قيس
 وهو نجدى

فبين على طير سنيح نحوسه واشام طير الزاجرين سنيحها

وهزة أظعان عليهم بهجة
 طلبت ورعان الصبا بي جامع
 فلما قضينا من مني كل حاجة
 ومسح بالأز كان من هو مسح
 أخذنا بأطراف الأحاديث يبتنا
 وسالت بأعناق المطي الأباطح
 وشدت علي حذب المهاري رحالنا
 ولا ينظر الغادي الذي هو رايح
 فقلنا على الخوص المرأسيل وازتمت
 بين الصحاري والصفاح الصحاصح

وأشد ابن الاعرابي

قصدت بعيني شادين وبسمت
 بجماء عن غر لهن غروب
 جرى الإسحل الأحمى عليهم أوجرى
 عليهم من فرع الأراك قضيب
 .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا
 محمد بن الحسن البلغي قال حدثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد
 يقول قلب العاشق عليه مع مشوقه فقلت له هذا والله يا أمير المؤمنين قول عروة بن
 حزام العنبري لعفراء

وإني ليعروني لذكر الكروعة
 لها بين جلدي والعظام ديب
 وما هو إلا أن أراها فجاءة
 فأبته حتى لا أكاد أجيب
 وأصرف عن داري الذي كنت عارفا
 ويعزب عني علمه ويعيب
 ويضمير قاي غدرها ويعينها
 علي فإلي في الفواد نصيب

فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علما والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
 ما تفضل عنه العلماء .. قال الصولي فأخذه العباس بن الأحنف فقال

يهم بجزيرة قلبه
 وفيها غزال فاتر الطرف ساحره
 يوازره قلبي وليس لي
 يدان بمن قلبي علي يوازره

وأشار إليه أيضاً في قوله

قلبي الي ما ضرني دأعي يكثُرُ أحراني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال
أعان طرفي على جسيمي وأعضائي
وكنت غراً بما تجني علي يدي

•• وقال البحري

ولست أعجب من عصيان قلبك لي يوماً إذا كان قلبك فيك يعصيني
وروي أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الأصمعي يوماً ما أحسن
ما قبل في صفة امرأة عجزاء خصاصة فأنشده قول الأعمى

صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة إذا تانت يكاد الخصر ينخزل
وأشد قول عاقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كأنها رشاً في البيت ملزوم
وأشد قول ذي الرمة

ترى خلفها نصفاً قناة قويمة ونصفاً تقاً يرتجج أو يترمرم
فقال أحسن ما قبل فيه قول أبي وجزة السعدي

أذما عيطة يكاد رداؤها يقوى ويُسبغ ما أخب إزارها
قال عكرمة ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي

غرثان سمط وشاحها قلق ربان من أردافها المرط

•• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي
قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن

عليه حزناً شديداً ولم يعلم ثلاثاً فأنشدته لابن أراكَةَ الثقفِي

لعمري لئن أتبعْتَ طرفَكَ ما مضى من الدهرِ أو ساقَ الحيامِ إلى القبرِ
 لتستفدنَ ماءَ الشونِ بأسره وإن كنتَ تمرَّينَ من ثبجِ البحرِ
 فقلتُ لعبدِ اللهِ إذ حنَّ باكياً تمرَّ وماءَ العينِ منهُمُ يجري
 تبينَ فإن كان البُكارَ ذها لكَ على أحدٍ فأجهذُ بكاكِ على عمرو
 ولا تبكِ ميتاً بعدَ ميتِ أحبِّه عليَّ وعبَّاسُ وآلُ أبي بكرِ

قال فأمر غبيءً بالطعام فأكل من ساعته . . قوله - حن باكياً - معناه رفع صوته بالبكاء
 وقال قوم الحنين بالخاء معجمة من الأنف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من
 كل واحد منهما . . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن
 يزيد النحوي قال سمعت الثوري يقول دخلنا مع الأصمعي إلى اسماعيل بن جعفر
 ليلة في حاجة فأنشده الأصمعي أبيات ابن هرمة

أتيناكَ نرْجو حاجةً ووسيلةً لديكَ وقد تحظىَ لديكَ الوسائلُ
 ونذكرُ ودًا شدَّهُ اللهُ بيننا على الدهرِ لم تذبِ إليه الغوائلُ
 فاقسمُ ما أكبا زنادكَ قادِحُ ولا أكذبتِ فيكَ الرِّجاءُ القوَابِلُ
 ولا أرجعتُ ذا حاجةٍ عنكَ علةً ولا عاقَ حُرًّا عاجلاً منكِ آجِلُ
 ولا لآمَ فيكَ الباذلُ الوجهَ نفسهُ ولا احتكمتِ في الجودِ منكِ المباخِلُ

لم يزد على هذه الأبيات ففرضي حاجته وأجاب مسألته . . [قال المرتضى] رضي الله عنه
 ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله * ولا أكذبت فيك الرجاء القوابل * من قول
 الحزین الكِناني في زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

فلما تردى بالحمائلِ وأنثني يَصولُ بأطرافِ القنأِ والذوابِلِ

تَبَيَّنَتِ الْأَعْدَاءُ أَنْ سِنَانَهُ يُطِيلُ حَنِينَ الْأُمّهَاتِ الثَّوَابِلِ

تَبَيَّنَ فِيهِ مَيْسَمُ الْعَزِّ وَالتَّقَى وَلَيْدًا يَنْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ

•• وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلغي قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال قال الرشيد يوماً يا أصمعي أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ودع النابغة فانه يحتج ويفتخر فقلت ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي فانه هجا أوس بن حارثة بن لام فأسره بعد ذلك فأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذات رأي والله لا يحا هجاءه لك إلا مدحه إليك فعنى عنه •• فقال بشر

وَإِنِّي عَلِيٌّ مَا كَانَ مِنِّي لَنَادِمٌ وَإِنِّي إِلَى أَوْسِ بْنِ لَامٍ لَتَائِبٌ

فَهَبْ لِي حَيَاتِي وَالْحَيَاةُ لِقَائِمٌ يَسْرُكُ فِيهَا حِينَ مَا أَنْتَ وَاهِبٌ

وَإِنِّي إِلَى أَوْسٍ لِيَقْبَلَ تَوْبَتِي وَيَعْرِفَ وَدَى مَا حُيِّتُ لِرَاغِبٌ

سَاءَ مَحْجُومٌ بِمَذْحِ فَيْكٍ إِذَا نَاصِدِقٌ كِتَابَ هِجَاءِ سَارٍ إِذَا نَاكَاذِبٌ

فقال الرشيد للأصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها •• وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم أحفل بهما ثم قال قلت هما علي كل حال خير من موضعهما من الكتاب قال فاني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر فأقبل علي مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء قال عيسى هذا بيت مال الحزن فأنتم لذلك الرشيد وأقبل علي عيسى وقال والله لتعطين الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار فوجم عيسى وأنكر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين وأنشدت الرشيد

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مُعْبِئاً وَجَدَّاهُ فِي الْمَاضِينَ كَمَبٍّ وَحَاتِمٍ

فَكَشَفَهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ فَأَمَّا يُكَشِّفُ أَخْبَارَ الرَّجَالِ الدَّرَاهِمُ

قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور اعطه علي بيت مال السرور ألفي دينار فأخذت

﴿ مجلس آخر ٣٥ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) ٠٠ الجواب قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها ٠٠ أو لها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يوتره من الأمور طبعاً باستدناه ما يجلب اليه فعماً أو يدفع عنه ضرراً ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت إلا من نوم وما خلق فلان إلا من شر أرادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما أنت إلا أكل وشرب وما أشبه ذلك ٠٠ قالت الخنساء تصف بقرة

تَرْزَعُ مَا غَفِلْتُ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارٌ

وانما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر (وكان الانسان عجولاً) ويطابقه أيضاً قوله تعالى (فلا تستعجلون) لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شأنهم فعلها توبيخاً لهم وتقريعاً ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقهم في الاستعجال وقادرين على الثبوت والتأيد ٠٠ وثانها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام قلباً والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهد على ذلك بقوله تعالى (وقد بلغنى الكبر) أى قد بلغت الكبر وبقوله تعالى (ما إن مفاخه لتنوء بالعصبة) والمعنى ان العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعري استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود وبقول الأعشى

لَمُحَقَّقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مَوْقِقٌ

يريد أن الموفق لمعان .. ويقول الآخر

على العباآتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانُ أَوْ بَلَغَتْ سَوَاتِمَهُمْ هَجْرٌ

والمعنى ان السَّوَاتِ هي التي بلغت هجر .. ويقول خداس بن زهير

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْفَى الرَّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحِمْرِ (١)

يريد تشفى الضباطرة بالرماح .. ويقول الآخر

يَمْشِي بِهِ عُوذُ النَّعَاجِ كَأَنَّهَا عَذَارَى مُلُوكٍ فِي بَيَاضِ ثِيَابٍ (٢)

يريد في ثياب بيض .. ويقول الآخر

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ فَرَدًّا نَحَزُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفِيدِينَا

يريد حسرت السربال عن كفي .. ويقول الآخر وهو ابن أحر

وَجُرْدٌ طَارَ بَاطِلُهَا نَسِيلاً وَأَحَدَتْ قَوْمَهَا شَعْرًا اقْصَارًا

أراد نسيها باطلا .. ويقول الآخر

وَقَسْوَرَةٌ أَوْ كَنَافُهُمْ فِي قَسِيمٍ إِذَا مَاشَوْا لَا يَمْرُونَ مِنَ النِّسَا

أراد قسيم في أكنافهم .. ويقول الآخر

وَهُنَّ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ (٣)

أي الاخلاف والولعان منهن .. ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التفاضل عن حمل

كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى والفائدة في قوله تعالى (خلق العجل من

(١) - الهوادة - اللين وما يرجي به صلاح الأمر - والضياطرة - جمع ضيطر

وضوطر وهو الضخم العظيم

(٢) - عوف - جمع عائد وهي الحديثة النتاج من الظباء وكل أثنى - والنعاج - جمع

نعجة وهي البقرة الوحشية

(٣) - صدره * خلابة العينين كذابة المنى * - والإخلاف - خلف الوعد

- والولعان - الكذب يقال ولع بلع ولعاً وولعاً إذا كذب

الانسان) أتريدون بذلك ان الله تعالى خالق في الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان
 العجلة فعل من أفعال الانسان فكيف يكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ما جاز
 أن ينههم عن الاستعجال في الآية فيقول (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) لانه لا ينههم
 عما خلقه فيهم . . فان قالوا لم يرد انه تعالى خلقها لكنه أراد كثرة فعل الانسان لها
 وانه لا يزال يستعملها . . قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب
 والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة
 بنا اليه . . وقد ذكر أبو القاسم الباقى هذا الجواب في تفسيره واختاره وقواه وسأل
 نفسه عليه فقال كيف يجوز أن يقول فلا تستعجلون وهو خالق العجلة فيهم وأجاب بأنه
 قد اعطاهم قدرة على مغالبة طبائعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعاً عليها وهو مع
 ذلك مأمور بالنسب قادر على أن يجانب العجلة وذلك كخلق في البشر لشهوة النكاح
 وأمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه وهذا الذي ذكره الباقى تصریح بان المراد
 بالمعجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المتناولة له ويجب أيضاً أن يكون المراد
 بمن ههنا في لان شهوة المعجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون مخلوقة فيه
 وهذا يجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب أولاً مجاز ثم هو من بهيد المجاز
 وذكر المعجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من قام في كذلك على انه تعالى اذا نههم
 عن العجلة بقوله عز وجل (فلا تستعجلون) أى معنى لتقديم قوله خلقت شهوة
 العجلة فيهم أو الطبع الداعي اليها فيهم على ما عبر به الباقى وهذا الى أن يكون عنراً
 لهم أقرب منه الى أن يكون حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لا يكون عنراً ولا احتجاجاً
 فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ
 والتقريع من غير اضافة اليه عز وجل والجواب الأول أوضح وأصح . . ونالها جواب
 روى عن الحسن قال يعني بقوله من عجل أى من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة
 وهذا قريب ان كان في اللفظة شاهد على ان المعجل عبارة عن الضعف أو معناه . . ورابعها
 ما حكى ان أبا الحسن الاخشأ أجاب به وهو أن يكون المراد ان الانسان خالق من
 تعجيل الأمر لانه تعالى قال (إنما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

•• فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون •• قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤوا أعلمهم تعالى انه بمن لا يعجزه شيء اذا أراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤنة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة ومعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر وبحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات •• وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين فكأنه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال تعالى في موضع آخر (وبدأ خلق الانسان من طين) واستشهد بقول الشاعر

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

ووجدنا قوماً يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الخماء ولم يستشهد عليه إلا أن البيت الذي أوردناه يمكن أن يكون شاهداً له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف في شيء من الفاظه فرواه

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مِنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى (فلا تستعجلون) على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات أو يكون المعنى انه لا يجب لمن خلق من الطين الموهن وكان أصله هذا الأصل الحقيق الضعيف أن يهزأ برسلك الله وآياته وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية (واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكرون آهتكم) •• وسادسها أن يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل أي من سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من لطفة ثم من علقه ثم من مصفة كما خلق غيره وانما ابتداء الله تعالى ابتداءً وأنشأ انشاءً فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له وانه عز وجل يرى عباده من آياته وبيناته أولاً أولاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم •• وسابعها ما روى عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق آدم

بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس . . وروى
 ان آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت الى اعالي جسده ولم يبلغ اسافله قال
 يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس . . وثانها ما روى عن ابن عباس والسدي
 ان آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب مجلان مبادراً الى
 آثار الجنة . . وقال قوم قد همم بالوثوب فهذا معنى قوله (خلق الانسان عجولاً)
 وهذه الأجوبة الثلاثة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره
 . . [قال المرتضى] رضي الله عنه واني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله

وَرُبَّ أُمُورٍ قَدْ بَرَيْتُ لِحَاةَهَا	وَقَوَّمتُ مِنْ أَصْلَابِهَا ثُمَّ رُعْتُهَا
أُقِيمُ بَدَارَ الْحَزْمِ مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا	فَإِنْ خَفْتُ مِنْ دَارِهَا وَأَنَا تَرَكْتُهَا
وَاصْلِحْ جُلَّ الْمَالِ حَتَّى تَخَالَتِي	شَحِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْتَهَا
وَلَسْتُ بُولَاجِ الْبُيُوتِ لِفَاقَةِ	وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا
أَيْدِي عَنْ الْإِذْلَاجِ فِي الْحَيِّ نَائِمًا	وَأَرْضُ الْإِذْلَاجِ وَهَمٌّ قَطَعْتُهَا
أَلَا أَيُّهَا الْجَارِي سَنِيحًا وَبَارِحًا	تُعَرِّضُ نَفْسًا لَوْ أَشَاءَ قَتَلْتُهَا
تُعَارِضُ فخرَ الْفَاخِرِينَ بِعَصَبَةٍ	وَلَوْ وُضِعَتْ لِي فِي إِنْاءٍ أَكَلْتُهَا
وَإِنَّ لَنَا رَبِيعَةَ الْمَجْدِ كُلَّهَا	مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرِثَتُهَا
إِذَا فَصَّرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَا	مَدَدَتْ لَهَا بَاعًا عَلَيْهَا فَتَلَّتْهَا
وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْعُلَا فَأَجَبْتُهُ	وَدَعْوَةَ دَاعٍ لِلصَّدِيقِ خَذَلْتُهَا
وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ رِعَايَةَ وَالِدِي	فَعَلَّمْنِيهَا وَالِدِي فَعَمَلْتُهَا
وَعُوزَاءٍ مِنْ قَبْلِ امْرِئِي ذِي قَرَابَةِ	تَصَامَمْتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا
رَجَاءٍ غَدٍ أَنْ يَعْطِفَ الرَّحْمُ يَنْتِنَا	وَمَظْلَمَةٍ مِنْهُ يُجَنِّبِي عَرَكَتُهَا

أذاما أمور الناس رثت وضيعت
وجدت أموري كلها قد زومتها
وإني سألتني الله لم أزم حرّة
ولم تأتني يوم سري فختها
ولا قاذف نفسي ونفسي بريئة
وكيف أعذارني بعد ما فقدت

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القرامطسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد
ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ان رجلا من الأنصار حدثه
قال قال مسكين الدارمي

ولست أذاما سرني الدهر ضاحكا
ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر
ولا جاعلا عرضي لمالي وقاية
ولكن أتني عرضي فيحززه وفري
أعف لذي عسري وأبدي تجملا
ولا خير فيمن لا يعف لذي العسر
وإني لأستحني إذا كنت مغسرا
صديقي وإخواني بأن يعلموا فقري
وأقطع إخواني وما حال عهدهم
حياة وإعراضا وما بي من كبر
فإن يك عارا ما أتيت فربما
أتى المرء يوم السوء من حيث لا يدرى
ومن يفتقر يعلم مكان صديقه
ومن يجي لا يعلم بلاء من الدهر

ومن مستحسن قوله

إن ادع مسكينا فما قصرت
قدري يوت الحي والخدر

قبل ان مسكينا ليس باسمه وانما اسمه ربيعة وانما سمي بذلك لقوله

وسميت مسكينا وكانت لجاجة^(١)
وإني لمسكين إلى الله راغب

(١) سماه في كتاب الشعراء ربيعة بن عامر بن أنيف من بني دارم وقال كان في

زمن معاوية رضى الله عنه وهو القائل فيه

إليك أمير المؤمنين رحلتها
شبر القفا ليلا وهن هجود

ومعنى - قصرت قدرى - أى سرتت يريد أنها بارزة لا تمججها السوائر والحيطان
 ما مسَّ رَحلي العنكبوتُ ولا جَدِيَّاتُهُ مِنْ وَضَعِهِ غَبْرُ
 وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت إنما تنسج على مالاته
 الأيدي ولا يكثر استعماله - والجديات - جمع جدية وهي باطن دقة الرجل
 لا آخِذُ الصُّبْيَانِ الثَّمَمِ وَالْأَمْرُ قَدْ يُغْرِي بِهِ الْأَمْرُ
 يقول لأقبل الصبي وأنا أريد التعرض بأمه ومثله لغيره

ولألقى لذي الودعات صوتي لألهيه وربته أريد^(١)

وأنشد ابن الاعرابي مثله

إذا رأيت صبي القوم يلثمه
 ضخم المناكب لاعم ولا خال

على الطائر الميمون والجد صاعد لكل اناس طائر وجدود
 إذا المنبر الغربي خلى مكانه فان أمير المؤمنين يزيد

•• وأنشده

وإذا الفاحش لاقى فاحشاً
 إنما الفحش ومن يعتاده
 أو حمار السوء ان أشبعته
 أو غلام السوء ان جوعته
 أو كغبرى رفعت من ذيلها
 أيها السائل عما قد مضى
 فهناكم وافق الشنّ الطبق
 كغراب السوء ما شاء نطق
 رمح الناس وان جاع نهق
 سرق الجار وان يشبع فسق
 ثم أرخته ضراراً فتمزق
 هل جديد مثل ملبوس خلق

(١) قوله لذي الودعات الخ: ذو الودعات العطف لأنهم يعلقون عليه الودع: ومعنى
 وربته أريد أي لا أريد ريبة أمه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ومثل هذا يحفظ
 ولا يقاس عليه لتختلف الشرط: والبيت من جملة أبيات لعقيل بن علفة المري الجاني المشهور

(١٦ - أمالي نافي)

فَأَحْفَظُ صَبِيَّكَ مِنْهُ أَنْ يُدَلِّسَهُ وَلَا يُغَرِّنُكَ يَوْمًا كَثْرَةَ الْمَالِ

رجع الى تمام القصيدة

وَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكْتُ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ سَتْرُ
وَمُخَاصِمٍ قَاوَمْتُ فِيهِ كَبِدٍ مِثْلَ الدِّهَانِ فَكَانَ لِي الْعُدْرُ
وَأَعَابَنِي قَوْمِي بَنُو عَدُسٍ وَهُمْ أَلْمُوكُ وَخَالِي الْبَشْرُ^(١)
عَمِّي زُرَّارَةٌ غَيْرُ مُتَحَلِّ وَأَبِي الَّذِي حُدِّثْتُهُ عَمْرُو
فِي الْمَجْدِ غَرَّتْنَا مَبِينَةٌ لِلنَّاطِرِينَ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ
لَا يَزْهَبُ الْجِيرَانُ غَدَرَتْنَا حَتَّى يُوَارِي ذِكْرَنَا الْقَبْرُ
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كُحِلَتْ إِحْدَى السِّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمْرُ

أى يستحلي القدر به كما يستحلي التمر

مَوْلَاهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ تَنْتَابُهُ الْعُقْبَانُ وَالنَّسْرُ
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَآلِيهِ قَبْلِي يَنْزِلُ الْقِدْرُ

يقال كان له امرأة تماظه فلما قال ذلك قالت له أجل انما نارك وناره واحدة لانه أوقد
ولم توقد والقدر ينزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه^(٢)

(١) قوله قومي بنو عدس: كل عدس في العرب بضم العين وفتح الدال لإلعدس

ابن زيد هذا فانه مضموم العين والدال

(٢) ويروى من غير هذا الوجه انه كانت لمسكين امرأة وكانت فاركا كثيرة الخسومة
والمماظة له فوقفت عليه وهو ينشد حتى اذا بلغ نارى ونار الجار البيت: قالت له صدقت
والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلي بناره ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بجندائه
كالكلب فاذا شبع أطعمك أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك فاعرض عنها فلما بلغ

ماضراً جاري إذ أجاوره أن لا يكون لينته ستر
 قال ويقال انها قالت له في هذا البيت أيضاً أجل ان كان له ستر هتكته
 أعمى إذا ما جارتني خرّجت حتى يوارى جارتني الخدر
 ويصم عما كان بينهم سمني وما بي غيره وقر
 وأنشد عمر بن شبة لمسكين أيضاً

لا تجعلني كأقوام علمتهم لا يظلموا لبة يوماً ولا ودجا
 اني لأغلاهم باللحم قد علموا نياوا رخصهم باللحم إذ نضجا
 أنا ابن قاتل جوع القوم قد علموا إذا السماء كست آفاقها رهجا
 يارب أمرين قد فرجت بينهما إذا هما نشباني الصدروا عتلجا
 أديم خلقي لمن دامت خليقته فأمرج الحلواً حياناً لمن مزجا
 وأقطع الخرق بالخرقاء لاهية إذا الكواكب كانت في الدجاسر جا
 ما أنزل الله من أمر فأكرهه إلا سيجعل لي من بعده فرجا
 مامد قوم بأيديهم إلي شرف إلا رأونا قياماً فوقهم درجا
 وأنشد أبو العباس نعلب له

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمكان جديب
 وما الخصب للأضياف أن يكثرُوا القرى
 ولكننا وجه الكريم خصيب

الى قوله : ما ضر جاري الخ البيت فلما قالت له هتكته وثب اليها يضربها وجعل قومه
 يضحكون منها : المماظة شدة الخلق وفظاظته

وروي ثعلب أيضاً

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتِ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
أُحَدِّثُهُ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرِيِّ وَتَعَلَّمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

ومعنى - أحده ان الحديث من القرى - أي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا
أعرض بمحادثته فأكون قد محمت قراي والحديث الحسن من تمام القرى ٠٠ وقال
الأصمعي أحسن ما قيل في الفيرة قول مسكين الدارمي

أَلَا أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمُسْتَشِيطُ عَلَامَ تَغَارُ إِذَا لَمْ تُغْرَ
فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خَفَتْهَا وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُرْزَ
تَغَارُ عَلَي النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَفْنِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظْرَ
فإني سأخلي لها بيتها فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا فَلَنْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطَ مُمْرَ
وَمَنْ ذَا بُرَاعِي لَهُ عَرَسُهُ إِذَا ضَمَهُ وَالْمَطِيَّ السَّفْرَ

[قال رضي الله عنه] وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

وَإِنِّي أَمْرٌ وَلَا آلَفُ الْبَيْتَ قَاعِدًا إِلَى جَنْبِ عَرَسِي لِأَفْرِطِهَا شَبْرًا
وَلَا مَقْسِمٌ وَلَا أَبْرَحُ الدَّهْرِ بَيْتَهَا لِأَجْعَلُهُ قَبْلَ الْمَاتِ لَهَا قَبْرًا
إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصِنْ أَمَامَ قِبَابِهَا فَلَيْسَ بِمُنْجِيهَا بِنَائِي لَهَا قَصْرًا
وَلَا حَامِلِي ظَنِّي وَلَا قِيلُ قَائِلِي عَلَي حَائِطِي حَتَّى أُحِيطَ بِهَا خُبْرًا
فَهَبْنِي أَمْرًا رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِدًا فَكَيْفَ إِذَا مَا سِرْتُ مِنْ بَيْتِهَا شَبْرًا
وَأَنْشُدُ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ لِمَسْكِينِ

ما أحسن الغيرة في حينها وأقبح الغيرة في غير حين
 من لم يزل متهماً عرسه مناصباً فيها لوهم الظنون
 يوشك أن يغريها بالذي يخاف أو ينصبها للعيون
 حسبك من تحصينها ضمها منك إلى خلق كريم ودين
 لا تظهرن منك على عورة فيتبع المقرؤن جبل القرين



—*—*—*—*—*—*—
 مجلس آخر ٣٦

[تأويل آية]: إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام (ولقد
 همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من
 عبادنا المخاضين) فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه
 السلام عزم على المعصية وأرادها وأنه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن
 ذلك بأن رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على إصبعه متوعداً له على موقعة المعصية أو بأن
 نودى له بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث .. الجواب قلنا إذا ثبت بأدلة
 العقول التي لا يدخلها الاحتمال والحجاز ووجوه التأويلات ان المعاصي لا تجوز على الأنبياء
 عليهم السلام صرفاً كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنة الى ما يطابق الأدلة
 ويوافقها كما يفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما
 يجوز عليه أو لا يجوز وهذه الآية وجوه من التأويل كل واحد منها يقتضى براءة نبي الله
 من العزم على الفاحشة واردة المعصية .. أو لها ان المهم في ظاهر الآية متعلق بما لا يصح
 أن يعلق به العزم أو الارادة على الحقيقة لانه تعالى قال (ولقد همت به وهم بها) فعلق
 المهم بهما وذاتهما لا يجوز أن يراد أو يعزم عليهما لان الوجود الباقي لا يصح ذلك فيه
 فلا بد من تقدير محذوف بتعلق العزم به وقد يمكن أن يكون ما تعلق به همه عليه السلام

انما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول القائل كنت همت بفلان وقد هم فلان بفلان
 أي بان يوقع به ضرباً أو مكروها .. فان قيل فأى معنى لقوله تعالى (لولا أن رأى
 برهان ربه) والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها .. قلنا يمكن أن يكون
 الوجه في ذلك أنه لما هم بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه ان أقدم على ما هم به
 أهلكت أهلها أي قتلوه أو أنها تدعي عليه المرادة عن القبيح وتقذفه بأنه دعاها اليه وان
 ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه
 فأخبر الله تعالى بأنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء يعني بذلك القتل والمكروه
 الذين كانوا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح أو يعنى بالسوء
 والفحشاء ظنهم بذلك .. فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون
 التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقديم جواب لولا قبيح غير
 مستعمل أو يقتضي أن تكون لولا بغير جواب .. قلنا أما تقدم جواب لولا فجائز
 وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير أننا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لأن
 العزم على الضرب والهم بالضرب قد وقع إلا أنه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد
 همت به وهم بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف
 والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن
 الله رؤوف رحيم) معناه لولا فضل الله عليكم ورحمته هللكتم ومثله (كلا لو تعلمون
 علم اليقين لترون الجحيم) معناه لو تعلمون علم اليقين لم تنافسوا في الدنيا وتفاخروا
 بها .. وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفس تموت سويةً ولكنها نفس تساقط أنفسا

أراد فلو أنها نفس تموت سويةً لانقضت وفيت حذف الجواب على ان من تأول هذه
 الآية على الوجه الذي لا يابق بنبي الله وأضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير
 جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا أن رأى برهان ربه
 لفعله .. فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم جمعتم همها متعلقاً بالقبيح وهم بها
 متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره .. قلنا أما الظاهر فلا يدل على ما تعلق الهم به

والعزم فهما جميعاً وإنما أثبتنا ههما به بأن يكون متعلقاً بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يوثر دليل في امتناعه عليها كما أثر ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين) وقوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب) وقوله (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والآثار واردة باطباق مفسري القرآن ومتأوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية .. والوجه الثاني في تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا أن رأي برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا أني نداركتك وقتلت لولا أني خلصتك والمعنى لولا نداركي هلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل .. قال الشاعر

فَلَا تَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِجِرَّةٍ
لَأَنَّ كُنْتُ مُقْتُولًا وَيَسْلَمُ عَامِرٌ

.. وقال آخر

فَلَا تَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ
لَئِنْ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجَلْ

فقدم جواب الشرط في البيتين جميعاً^(١) وقد استشهدنا به أيضاً بقوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم يمت طائفة منهم أن يضلوك) والهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته وما يشهد لهذا التأويل ان في الكلام شرطاً وهو قوله تعالى (لولا أن رأي برهان ربه) فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم أن يجعلوا جواب لولا محذوفاً

(١) هذا الذي اعتمده يخالف مذهب جمهور البصريين فان جواب الشرط عندهم لا يتقدم فاذا تقدم ما هو جواب في المعنى فهو دال عليه وليس إياه وهو محذوف: وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد الى جواز تقديمه ولا حذف عندهم في مثل ذلك

مقدراً لأن جمل جوابها موجوداً أولاً: وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا
ولو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدت لولا بكر وقد بينا بما أوردناه من الأمثلة
والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذي ذكره لا يشبه بما أجزناه وقد يجوز أن
يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدت لولا أن صدني فلان
وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا الذي يشبه الآية وليس تقديم جواب لولا بأبعد من
حذف جواب لولا جملة من الكلام وإذا جاز عندهم الحذف لثلاث يلزمهم تقديم
الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف .. والجواب الثالث
ما اختاره أبو علي الجبائي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو أن يكون معنى هم
بها اشتهاها وما طبعه الى مادعته اليه وقد يجوز أن يسمي بالشهوة في مجاز اللغة هما كما
يقول القائل فيما لا يشبهه ليس هذا من همي وهذا أهم الأشياء الي ولا قبح في
الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعاق القبيح بتناول المشتى .. وقد روى
هذا الجواب عن الحسن البصري قال أما همها فكان أخبت لهم وأما همها فما طبع عليه
الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (لولا أن رأى
برهان ربه) متعلق بمحذوف كأنه قال لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل .. والجواب
الرابع ان من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم ما يقع في الأكثر عنده وعلى هذا
لا ينكر أن يكون المراد بهم بها أي خطر بباله أمرها ووسوس اليه الشيطان بالدعاء اليها
من غير أن يكون هناك هم أو عزم فسمى الخطور بالبال كما من حيث كان لهم يقع
في الأكثر عنده والعزم في الأغلب يتبعه وانما أنكرنا ما ادعاه جهلة المفسرون ومخرفوا
القصاص وقد فوا به نبي الله عليه السلام لما ثبت في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك
لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث كان منفراً عنهم وقادحاً في الغرض المجري
اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه تعالى قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء)
ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع في مقدماته وقوله تعالى
أيضاً (انه من عبادنا الخالصين) يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن
النسوة قوطن (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) يدل أيضاً على أنه بريء من القبيح

•• فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفاً لطف الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ويحتمل أيضاً ما ذكره أبو علي وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك وعلى أن من فعله يستحق العقاب وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له والنداء له بالزجر والتخويف لأن ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضى أن لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا هو شأنه على الأنبياء واقدم على قرفهم بما لم يكن منهم والحمد لله على حسن التوفيق •• روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطلحاس قال كنت يوماً عند عمي إبراهيم بن العباس فدخل إليه رجل فقربه حتى جلس إلى جانبه أو قريباً منه ثم حادته إلى أن قال له عمي يا أبا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجأ إليه فقال أنت لا عدمت وكان إبراهيم طويلاً أنت والله كما قيل

يَمْدُ نَجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَعْلَى سَنَامِي فَالْحِجِّ يَتَطَوَّحُ
وَيَذَلِّجُ فِي حَاجَاتٍ مِنْ هَوَانِمْ وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
إِذَا أَعْتَمَّ بِالْبُرْدِ الِيمَانِي خِلْتَهُ هَلَا لَأَبْدَأُ فِي جَانِبِ الْإِفْقِ يَلْمَحُ
بِرِيدِ عَلَى فَضْلِ الرَّجَالِ فَضِيلَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحٌ مَنْ يَتَمَدَّحُ

فقال له إبراهيم أنت تحسن قائلًا وراوياً ومتمثلاً فلما خرج نبتت وقلت له أكتنبت الأبيات فقال هي لأبي الجويرية العبدي نغذها من شعره •• وروى عن يحيى بن البحري قال رأيت أبي يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بعمان من الشعر فر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فأنشدوا اشادات كثيرة فقال لهم أبي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال

أَحْسِبُ النَّوْمَ حَكَاكَ إِذْ رَأَيْتُ مِنْكَ جَفَاكَ
مَنِّي الصَّبْرُ وَمِنْكَ ۥ هَجْرٌ فَأَبْلُغُ فِي مَدَاكَ

بُذِّتْ هِمَّةُ عَيْنٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَكََا
 أَوْ مَا خُطَّ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مِنْ قَدْرًا كَا
 لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاكََا

قال أبي انه تصرف في معانٍ من الشعر في هذه الأبيات قال فكنتها عنه جماعة من
 حضروا والأبيات لابراهيم بن العباس الصولي . . وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال
 أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام
 بالعهد وأمر الناس بلبس الخضره صار اليه دعبل بن علي الخزاعي وابراهيم بن العباس
 الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحِيٍّ مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ
 وَأَنْشَدَهُ اِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِي عَلَى مَذْهَبِهَا قَصِيدَةً أَوْهَا

أَزَالَتْ عِرَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

قال فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون أمر
 بضرها في ذلك الوقت فأما دعبل بن علي فصار بالشطر منها الى قم فاشترى أهلها منه كل
 درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة ألف درهم . . وأما ابراهيم بن العباس فلم يزل
 عنده بعضها الى ان مات قال الصولي ولم أقف من قصيدة ابراهيم على أكثر من هذا
 البيت . . قال وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني أبو العباس أحمد
 ابن محمد بن الفرات والحسين بن علي الباقطاني قالا كان ابراهيم بن العباس صديقاً
 لاسحاق بن ابراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن فأنسخه شعره في علي بن
 موسى الرضا عليهما السلام وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيئاً بخطه منه وكانت
 النسخة عنده الى ان ولى المتوكل وولى ابراهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان
 تباعد ما بينه وبين أخى زيدان فعزله عن ضياع كانت في يده بجلوان وغيرها وطالبه
 بمالٍ وألح عليه وأساء مطالبته فدعا اسحاق بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض

الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى بخطه عندي وبغير خطه والله
 لئن استمر على ظلمي ولم يُزل عنى المطالبة لأوصان الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل
 الى ابراهيم بن العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر الى
 الوسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به وأخذ الشعر منه وأحلفه انه لم يبق
 عنده منه شيء فلما حصل عنده أحرقه بحضرة .. وذكر أبو أحمد بن يحيى بن علي
 المنجم ان أباه علي بن يحيى كان الوسطة بينهما .. قال الصولي وما عرفت من شعر
 ابراهيم في هذا المعنى شيئاً إلا أبياناً وجدتها بخط أبي قال أنشدني أخي لعمه في علي
 ابن موسى الرضا عليهما السلام من قصيدة

كفى بفعل امرئ عالمٍ على أهله عادلاً شاهداً
 أرى لهم طارفاً مؤتماً ولا يشبه الطارف التالداً
 يمنٌ عليكم بأموالكم ويعطون من مئةٍ واحداً
 فلا حمد الله مستبصراً يكون لاعداءكم حامداً
 فضلت قسيمك في قعدٍ كما فضل الولد الوالداً

قال الصولي فنظرت فوجدت علي بن موسى الرضا عليهما السلام والمأمون متساويين
 في قعدد النسب وهانم التاسع من آباؤهما جميعاً .. وروى الصولي ان منشداً أنشد
 ابراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع

ربما تكره النفوس من الأم رله فرجة كحل العقال

قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها مخرج
 كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

فمجب من جودة بديته .. وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني
 محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القاسم بن اسمعيل أبو ذكوان الراوية قال كنت

بلا هواز أيام الوائق وإبراهيم بن العباس بل معونتها وخراجها فوصفت له بالأدب
فأمر بإحضاري فلما دخلت عليه قرّبت مجلسي وقال تسلف أنس المطاولة فإن الاستمتاع
لا يتم إلا به فأبسطت ونساء لنا عن الأشعار فما رأيت أحداً قط أعلم بالشعر منه فقال
لي ما عندك في قول النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ
فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبُ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ

فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خب وهو انه اعتذر الى
النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم فقال انما فعلت هذا لجفائك بي
فاذا صلحت بي لم أرد غيرك كما ان من أضاءت له الشمس لم يحتاج الى ضوء الكواكب
فأنى بمعنىين بهذا وبفضيله قال فاستحسن ذلك منه .. وكان إبراهيم بن العباس من
أصدق الناس لأحمد بن أبي داود فعقب على ابنه أبي الوليد من شيء قدمه ومدح أباه
وأحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفت مساو تبذت منك واضحةً علي محاسن بقاها أبوك لكا
لئن تقدّم أبناء الكرام به لقد تقدّم أبناء اللثام بكا

.. ولا إبراهيم

تمرّ الصبا صفحاً بساكن ذي الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها
تطلع من قسي اليك نوازعُ عوارف أن اليأس منك نصيبها
وأخذ هذا من قول ذي الرمة

إذا هبت الأرواح من كل جانب به آل هي هاج شوقي هبوبها
هوي تذرّف العينان منه وإنما هوي كل نفس حيث كان حبيبها

دنت باناسٍ عن تناء زبارةً وشطّ بليلى عن دنو مزارها
وإنّ مقيّاتٍ بمنقطعِ الأوى لأقرب من ليلى وهاتيك دأرها

وأخذ ذلك من قول النظار الفقمسى

يقولون هذي أم عمرٍ وقريبةٌ دنت بك أرض نحوها وسماء
الآ إنما بُعدُ الحبيبِ وقربهُ إذا هو لم يوصل إليه سواه

ووجدت بعض أهل الأدب يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله

كن كيف شئت وأني تشا وأبرق يمينا وأرعذ شمالا
نجابك لو أمك منجى الذباب حمته مقاديره أن ينالا

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى فأحسن غاية الاحسان فقال

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

مجلس آخر ٣٧

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكباً عن يوسف عليه السلام
(قال رب السجن أحب اليّ مما يدعوتني اليه وإلاّ تصرف عني كيدهنّ أصب إليهنّ
وأكن من الجاهلين) ٠٠ فقال إذا كانت المحبة عندكم هي الإرادة فهذا تصرّح من يوسف
عليه السلام بإرادة المعصية لأن حبه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله
وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعى اليه من الزنا وقوله من بعد
(وإلاّ تصرف عني كيدهنّ) يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرّفهن
عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف النسوة

عن كيدهم أو لم يصرفن .. الجواب قلنا أما قوله عليه السلام (رب السجن أحب
 اليّ) ففيه وجهان من التأويل .. أولهما ان المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح
 على الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً لأن السجن انما هو الجسم والأجسام لا يجوز أن
 يريد بها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما
 الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم
 يوسف عليه السلام الحبس أو اكرامهم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره
 على ملازمته والمشاق التي تناله باستيطانه كان طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالماً لو
 أكرمه مؤمناً على ملازمته لبعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكره
 حسناً وان كان فعل المكره قبيحاً وهذه الجملة تبين أن لظاهر في الآية يقتضي ما ظنوه
 وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم أن يقدروا ما يرجع الى الحبس
 من الأفعال إلا ولنا أن تقدر ما يرجع الى الحبوس واذا احتمل الكلام الأمرين
 ودل الدليل على أن النبي لا يجوز أن يريد المعاصي والقبائح اختص المحذوف المقدر بما
 يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مراده ومحبه .. فان قيل كيف يجوز
 أن يقول السجن أحب اليّ وهو لا يحب مادعوه اليه ومن شأن مثل هذه اللفظة أن
 تدخل بين ما وقع فيه اشتراك في معناها وان فضل البعض على البعض .. قلنا قد
 تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة ألا
 ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جائز أن يقول هذا أحب اليّ من هذا وان لم
 يجوز مبتدئاً أن يقول من غير أن يخبر هذا أحب اليّ من هذا اذا كان لا يحب أحدهما
 جملة وانما سوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من حيث كان الخبر بين الشبهين
 لا يخبر بينهما إلا وهما مرادان له ومما يصح أن يريد هما فموضوع التخيير يقتضي ذلك
 وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال كذا أحب اليّ من كذا
 مجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الأمران على الحقيقة يشتركان في
 تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد) ونحن نعلم
 أن لاخير في العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

المعاصي على الطاعات وانهم ماركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لاعتقادهم أن فيها خيراً ونفعاً فليل ذلك خير على ما تظنون وتعتقدونه أم كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى (أذلك خير أم جنة الخلد) إنما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى (خير مستقراً وأحسن مقيلاً) ومثل هذا قد يأتي في قوله تعالى (رب السجن أحب الي) لأن الأمرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكل منهما داعياً وعليه باعثاً وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكاً في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه لأن السجن المصدر فيحتمل أن يريد ان سجنني لهم نفسي وصبري على حبسهم أحب الي من مواجهة المعصية ولا يرجع بالسجن الي فعلهم بل الي فعله .. والوجه الثاني أن يكون معنى أحب الي أي أهون عندي وأسهل علي وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين بكرهما معاً ان فعلت كذا وإلا فعل بك كذا وكذا فيقول بل كذا أحب الي أي أهون عندي بمعنى أسهل وأخف وان كان لا يريد واحداً منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون إنما عنى فعلهم به دون فعله لانه لم يجبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وإنما وضع أحب موضع أخف والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .. وأما قوله تعالى (وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن) فليس المعنى فيه على ما ظنه السائل بل المراد متى لم تلتطف لي بما يدعوني الي مجانبة المعصية وتثبتني الي تركها ومفارقتها صبوت وهذا منه عليه السلام على سبيل الاقطاع الي الله تعالى والتسليم لاموره وأنه لولا معونته ولطفه ما نجنا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي إنما يكون معصوماً عن القبائح بعصمة الله تعالى ولطفه وتوفيقه .. فان قيل الظاهر خلاف ذلك لأنه قال (وإلا تصرف عني كيدهن) فيجب أن يكون المراد ما يمنع من الكيد ويدفعه والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه .. قلنا معنى الكلام وإلا تصرف عني ضرر كيدهن والفرض به لانه إنما أجري بكيدهن الي مساعدته لمن على المعصية فاذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف

عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به اليه ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه
الى غرض لم يقع ما قلت شيئاً ولمن فعل ما لا تأمير له ما فعلت شيئاً وهذا بين بحمد
الله ومنه

[تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عقبه بن عامر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة طويلة خطبها من يتبع المشعة يشمع به
.. الجواب ان المشعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعاً
وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك .. قال أبو ذؤيب يصف الخمر

بِقَرَارِ قِيَعَانٍ سَقَاها وَابِلٌ وَاهٍ فَأَنْجَمَ بَرْهَةً لَا يُقْلَعُ^(١)
فَلَبِثْنَا حِينًا يَعْتَلِجُنَ بَرَوْضَةَ فَيَجِدُ حِينًا فِي الْعِلَاجِ وَيَشْمَعُ

أراد أن هذا الخمر الذي وصف حاله مع الأبن وأنه معهن في بعض القيعان يعارك هذه
الأبن ومعني - يعتلجن - يعاض بعضهن بعضاً ويتراخن من النشاط فيجد الفعل معهن
مرة وأخرى يأخذ معهن في اللعب فيشمع وفي جد لغتان يمجذ ويَجِدُ والمفتوح لغة
هذيل ويقال فلان جاد مجذ على اللغتين معاً .. وقيل ان معنى يشمع في الخمر انه يتم
ثم يرفع رأسه فيكشر عن أضرانه فجعل ذلك بمنزلة الضحك .. قال الشاعر

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ كُنْتُ نَفْسِي إِلَى لَبَاتٍ بِهَكْنَةِ شُمُوعٍ^(٢)

(١) - القرار - جمع قرارة وهو حيث يستقر الماء والقيعان - جمع قاع وهو القطعة
من الأرض الصلبة الطيبة - والوابل - المطر العظيم القطر .. ويروي سقاها صيف وهو
مطر الصيف - والواهي - كأنه منشق من شدة انصبابه وكثرة مائه - وأنجم - أقام وتبت
- والبرهة - الحين والزمان - والروضة - البقعة يجتمع فيها الماء ينبت فيها البقل والعشب
ولا تسمى روضة الا اذا كان بها شجر وماء

(٢) يروي هيكلة مكان بهكنة والهيكلة من النساء العظيمة وهيكلها اختيالها - والشموع -
المزاحة - والهكنة - النار الغضة وقيل هي الجارية الخفيفة الطيبة الرائحة المليحة الحلوة

•• وقال المشغل الهذلي

وَلَا وَاللَّهِ نَادِي الْحَيِّ ضَيْفِي هُدُوءًا بِالسَّاءَةِ وَالْعِلَاطِ
سَأَبْدَأُهُمْ بِمَشْمَعَةٍ وَأَنْتِي بِجِهْدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بِسَاطٍ

أراد بقوله - نادى الحي ضيفي - أي لا ينادونه من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه به
يؤثر - والعلاط - من أعلطه واعتلط به إذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر وأصله من
علاط البعير وهو وسم في عنقه •• وقيل إن معنى نادى الحي ضيفي من النادى أي
لا يجالسونه بالمكروه والسوء •• ومعنى - سأبدأهم بمشمة - أي بلعب وضحك لأن ذلك
من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد إلى إيناسه وبسطه •• ومنه قول الآخر

وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى ^(١)

إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقَرِيِّ

وروى الأصمعي عن خلف الأحمر قال سنة الاصراب أنهم إذا حدثوا الرجل الغريب
وهشوا إليه ومازحوه أبقن بالقرى وإذا أعرضوا عنه صرف الحرمان •• ومعنى - أنتي
بجهد من طعام أو بساط - أي أتبع ذلك بهذا •• ومعنى الخبر على هذا أن من كان من
شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يعبت به فيها
ويستهزأ منه •• ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ما روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم من يسمع الناس بعمله يسمع الله به والمعنى من يرأى بأعماله ويظهرها تقرباً
إلى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم يشهره الله بالرياء ويفضحه ويهنك •• ويمكن أيضاً في الخبر
الأول وجه آخر لم يذكر فيه وهو أن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء

(١) قوله ورب ضيف الخ •• البيتان للشماخ يمدح بهما عبد الله بن جعفر رضي الله

عنهما وقيلهما

انك يا ابن جعفر نعم الفتى وانم ماوى طارق إذا أتى

ورب ضيف الخ

باسمه ولذلك نظائر في القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر أن يكون للعنى
من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه فسمى الجزاء
على الفعل باسمه وهذا الوجه أيضاً ممكن في الخبر الثاني . . أخبرنا عبيد الله المرزباني
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال إني لفي
سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة وكان له ابن
فضربه إذ أقبلت عجوز على ناقه لها حسنة البرة فيها باقي جمالٍ فأناخت وعقلت ناقها
وأقبلت تنوكاً على محجن لها فجلست قريباً منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي
أبجضرك شئ قال لا فأشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري

وَقَصِيرَةَ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسَهَا لَوْ بَاعَ مَجْلِسَهَا بِفَقْدِ حَمِيمِ
مِنْ مُحَدِّيَاتِ أَخِي الْهُوَى غُصَصَ الْجَوَى

بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَمُقَلَّةِ رِيمِ

صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا وَرَدَعُ سَقِيمِ

قال جئت على ركبتيها وأقبلت تحرش الأرض بمحجتها وأنشأت تقول

قَفِي يَا أَمِيمُ الْقَلْبَ تَقْرَأُ تَحِيَّةً وَنَشَكُوا الْهُوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَأَكَ
فَلَوْ قُلْتُ طَأُ فِي النَّارِ اعْلَمْ أَنَّهُ هُوَى لَكَ أَوْ مُذْنٍ لِنَامِنٍ وَصَالِكَ
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطَّئْتُهَا هُدِي مِنْكَ لِي أَوْضَلَّةً مِنْ ضَالِّكَ
سَلَى الْبَانَةَ الْعَلِيَاءَ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي بِهِ الْبَانُ هَلْ حَيَّتُ أَطْلَالَ دَارِكَ
وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهِنَّ عَشِيَّةً مَقَامَ أَخِي الْبَأْسَاءِ وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ
لِيَهْتِكِ إِمْسَاكِ بِكَفِي عَلَى الْحَشَا وَرَفْرَاقُ عَيْنِي خَشِيَّةً مِنْ زِيَالِكَ

قال الأصمعي فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقتها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت

أنشدتك الله لما زدني من هذا فرأيت الضحك في عينها وأنشدت

وَمُسْتَحْفِيَاتٍ لَيْسَ يُخْفَيْنَ زُرْتَنَا يُسْحَبْنَ أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ
جَمَعْنَ الْهُوَى حَتَّى إِذَا مَامَلَكْنَهُ تَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ

مَرِيضَاتٍ رَجَعِ الطَّرْفِ خُرُسٍ عَنِ الْخَنَا

تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَدَلٍ

مَوَارِقُ مِنْ سَخْتِ الْمُحِبِّ عَوَاطِفُ بِجَنْحِ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِالْجِدِّ وَالنَّهْلِ
يُعْنِفُنِي الْعُدَّالُ فِيهِنَّ وَالْهُوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي الْعَدْلِ

[قال المرتضى] رضى الله عنه أما قول الأنصاري - وقصيرة الأيام - فأراد بذلك ان السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فنقص أيام جلوسها لأن أيام السرور موصوفة بالقصر .. ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضاً حدانة سنّها وقرب عهد مولدها وان كان الأول أشبه بما أتى في آخر البيت .. ومعنى - لو باع مجلسها بفقد حميم - أي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لأنه يستعمل في البائع والمشتري معاً .. قال الفراء سمعت امرأياً يقول بع لي تمرأ بدرهم أي اشتر لي تمرأ .. وقال كثير

فَيَالَيْتَ عَزُّ النَّأْيِ إِذْ حَالَ يَبْنُنَا وَيَبْنُنُكَ بَاعَ الْوَدِّ لِي مِنْكَ تَاجِرٌ^(١)
أي ابتاع .. وقوله - من محذيات أخي الهوى - أي معطيات يقال أحذيت الرجل من

(١) وقبله

بليلى وجارات لبليلى كأنها	نعاج الملا تحدى بين الأباصر
أمنقطع يا عزم ما كان بيننا	وشاجرني يا عزم فيك الشواجر
إذا قيل هذا بيت عزة قادني	إليه الهوى واستعجلتني البوادر
أصد وبى مثل الجنون لكي يرى	رواة الخنا أنى لبيتك هاجر
ألا ليت حظي منك يا عزم اتى	إذا بنيت باع الصبر لي عنك تاجر

وهذه الرواية في البيت الأخير أشهر من تلك

الغنيمة أحذيه إحذاء إذا أعطيته والاسم الحذوة والحذيا والحذبة كل ذلك العطية
 ٠٠ وقوله - كأنما خفر الحياه بها رداع سقيم - فالرداع هو الوجدع في الجسد فكأنه
 أراد انها منقبضة منكسرة من الحياه كما يتغير لون السقيم أو يريد تغير لونها وصفرتها من
 الحياه كما يتغير لون السقيم ويجري ويجري مجرى قول ليل الأخبيلية

وَمُخْرَقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا
 حَتَّى إِذَا خَفَقَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَيِ الْخَمِيصِ زَعِيمًا

أخبرنا المرزباني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هارون
 الكاتب قال حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه قال لقيت اعرابياً بالبادية فاسترشدته
 الى مكان فأرشدني وأنشدني

لَيْسَ الْعَمَى طُولَ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا

تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَي الْجَهْلِ (١)

فرجعت الى البصرة فمكنت بها حيناً ثم قدمت البادية فاذا بالاعرابي جالساً بين ظهرائي
 قوم وهو يقضى بينهم فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من أفضيته فجلست اليه
 فقلت برحمك الله أما من رشوة أما من هدية أما من صلة فقال لا اذا جاء هذا ذهب
 التوفيق فشكوت اليه ما أتني من عذل حليلة لي إياي في طلب المعيشة فقال لست بها
 بأوحد وإني لشريكك ولقد قلت في ذلك شعراً قلت أنشدنيه فأرشدني

بَاتَتْ تَعِيرُنِي الْإِقْتَارَ وَالْعَدَمَا لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَا
 عُنْفٌ لِرَأْيِكَ مَا الْأَزْزَاقُ مِنْ جَلْدٍ وَلَا مِنَ الْعَجْزِ بَلْ مَقْسُومَةٌ قَسَمَا

(١) وروي

شفاه العمى حسن السؤال وإنما يعطيل العمى طول السكوت على الجهول
 فكان سائلاً عما عنك فانما خلقت أبا عقل لتسأل بالعقل

وهما الرياشي النهوي

يا أمة الله إني لم أدع طلباً
فكل ذلك بالإجمال في طلب
لو كان من جلد ذاك المال أو أدب
إرضي من العيش ما لم تحوجي معه
واستشعري الصبر على الله خالقنا
لا تحوجيني إلى ما لو بدلت له
بالله سرّك أن الله خولني
ماسرني أنني خولت ذلك ولا
وأنني لم أفد عقلاً ولا أدباً
فعمرة المرأة أحرى في معاشك من

قال فوالله ما أنشدتها حتى حلفت أن لا تعذلي أبداً .. أخبرنا علي بن محمد الكاتب
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت
بقية شاباً من بني عامر ما رأيت بدويّاً أفصح منه ولا أطرف فوالله كأنه شواظ بنظري
فاستشدته فأنشدني

فلم أنسك يوم اللوى إذ تعرّضت
فقلت سأنسبك العشيّة ما مضى
فأفعلت لا والذي أنا عبده
أبت سابقات الحب إلا مقرّها
هو الك الذي في النفس أمسى دخيلها

لنا أم طفل خاذل قد تجلت
وأصرف منك النفس عما أحببت
على ما بدا من حسنها إذ أدلت
إليك وما يثني إذا ما استقررت
عليه انطوت أحشاؤها واستمرت

وأنشدني أيضاً

دِيَارٌ لَّتِي طَرَقْتِكَ وَهَنَا بَرِيًّا رَوْضَةَ وَذَكَاهُ رَنَدِ
تُسَائِلُنِي وَأَصْحَابِي هُجُودٌ وَتَثْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ
فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كَانَ وَجْدِي
وَلَكِنْ حَالُ دُونِكَ ذُو شِدَاةٍ أُسْرٌ بِفَقْدِهِ وَيَهْرٌ فَقْدِي

معنى - يهر - يكره . . . وبهذا الاسناد قال الأصمعي فعدت الى اصرايى يقال له اسمعيل
ابن عمار واذا هو يفتل أصابعه ويتلف فقلت له علام تتلف فأنشأ يقول

عَيْنَايَ مَشُومَتَانِ وَيَجْهَمَا وَالْقَلْبُ حَرَّانٌ مُبْتَلَىٰ بِهِمَا
عَرَفْتَانِي الْهُوَىٰ بِظُلْمِهِمَا يَا لَيْتَنِي قَبْلَهُ عَدَمْتُهُمَا
هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهُمَا دَلٌّ عَلَى مَا أَجْنُ دَمَعُهُمَا
سَاءَ عَذْرُ الْقَلْبِ فِي هَوَاهُ فَمَا سَبَبَ هَذَا الْبَلَاءَ غَيْرُهُمَا

وبهذا الاسناد عن الأصمعي قال نزلت ليلة في وادي بني العنبر وهو إذ ذاك غان بأهله
أي أهل فاذا فتية يريدون البصرة فأحببت محبتهم فأقت ليلتي تلك عليهم وإني لو صب
محموم أخاف أن لا أتمسك على راحتي فلما أقاموا ليرحلوا أيقظوني فلما رأوا حالي
رحلوا لي وحلوني وركب أحدهم ورائي يمسكني فلما أمعنوا السير نادوا الا فتى
يحدو بنا أو ينشدنا فاذا منشد في سواد الليل بصوت ند حزين ينشد

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أُمَّتْ خُفَاتَا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
غَدَاةَ الْمُتَقَىٰ إِذْ رُمِيتُ بِنَظْرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتَنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ
فَقَلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَىٰ وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُبْرِ يُطِيرُ
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَى اللَّيْلُ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ شَهْرُ

وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحْبَةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَارِحٌ وَمَسِيرٌ

وَأَصْبَحَتْ نَجْدِيَّ الْهَوَى مَثَمِ الثَّوَى

أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَجِنَّ بَعِيرٌ

عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسَعِفَ الثَّوَى

وَيَجْمَعُ شَمْلَهُ بَعْدَهَا وَسُرُورٌ

قال فسكنت والله عني الحمى حتى ما أحس بها فقلت لرفيقي انزل برحمك الله الى راحتك فاني مناسك وجزاك الله عن الصحبة خيراً .. أخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني نميم يتطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل ولا وضع الطعام إلا ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولا وما أكره أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً أنقحهم عليه مستأنساً وأضحك اذا رأته غائباً فأكل برغمه وأدعه بهمه وما اخترق اللهوات طعام أطيب من طعام لم ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم^(١) وأنشأ يقول

كُلُّ يَوْمٍ أَدْوَرُ فِي عَرَضَةِ الْحَيِّ أَشْمُ الْقَتَارِ شَمِّ الذَّبَابِ

(١) وروى من غير هذا الوجه عن المبرد قال كان بالبصرة طقيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقنحهم عليهم وأخذ يجلسه مع من دعى فانكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو صبرت يا هذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لادبك وأعظم لقدرك وأجمل لمروءتك فقال إنما أتخذت البيوت ليدخل فيها ووضع الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة وأطراحها صلة وجاء في الآثار صل من قطعك واعط من منعك وأحسن الي من أساء اليك

فَادَا مَارَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ أَوْ خِتَانٍ أَوْ تَجْمَعِ الْأَصْحَابِ
 لَا أَوْزَعُ دُونَ التَّقَحُّمِ لَا أَزْ هَبْ دَفْعًا وَلَسْكَزَةَ الْبَوَابِ
 مُسْتَهِينًا مِمَّا هَجَمْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هِيَابِ
 فَتَرَانِي أَلْفٌ مَا قَدَّمَ الْقَوَى مٌ عَلِي رَغْمِهِمْ كَلَّفَ الْعُقَابِ
 ذَلِكَ أذْنِي مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْفُرَى مٌ وَغَيْظِ الْبِقَالِ وَالْقَصَابِ

— مجلس آخر ٣٨ —

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (ونادي نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي) الى قوله (أن تكون من الجاهلين) ٠٠ فقال ظاهر قوله تعالى (إنه ليس من أهلك) يقتضى تكذيب قوله عليه السلام انه من أهلي فالنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح أن يخبر عن ابنه انه عمل غير صالح وما المراد به ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أحدها أن نفيه لان يكون من أهله لم يتناول نفي النسب وإنما نفي أن يكون من أهله الذين وعد بنجاتهم لانه عز وجل كان وعد نوحاً عليه السلام بان ينجي أهله ألا ترى الى قوله تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول) فاستثنى تعالى من أهله من أراد اهلاكه بالفرق وبدل عليه أيضاً قول نوح عليه السلام (ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتناقبان وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ٠٠ والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (ليس من أهلك) اى انه ليس على دينك وأراد انه كان كافراً مخالفاً لأبيه وكان كفره أخرجه من أن يكون له أحكام أهله وبشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعليل انه عمل

غير صالح فبين تعالى انه انما خرج من أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التأويل أيضاً عن جماعة من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فبجح طويلاً ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن .. وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفاً له في النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من أهلك .. والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام ان ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى ان الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانه امرأته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه انما خبر عن ظنه وغما يقتضيه الحكم الشرعي فأخبره الله تعالى بالغييب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن وغيره .. وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه فقالت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه ويقول ليس بيته قال أفرايت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه انه ليس من أهلك الذين وعدتك ان أنجبهم معك ولا يختلف أهل الكتاب انه ابنه فقال أهل الكتاب يكذبون .. وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك .. وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لانه قال تعالى (ونادى نوح ابنه) فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضاً استثناء من جملة أهله بقوله تعالى (وأهلك إلا من سبق عليه القول) ولان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتقض من القدر وقد جنب الله تعالى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيماً لهم وتوقيراً ونقياً لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط نختائهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احدهما تخبر الناس بانه مجنون والاخرى تدل على الأضياف والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان .. فأما قوله تعالى (انه عمل غير صالح) فالقراءة المشهورة بالرفع .. وقد روي عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤوا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه .. فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وما يستعمل غير صالح فمخالف

المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخلساء
 ما أُمَّ سَقَبِ عَلِيٍّ بَوَّ تَطِيفُ بِهِ قَدْ سَاعَدَتْهَا عَلَيَّ التَّحَنُّانِ أَظَارُ
 تَزَعُّ مَارَتَمْتُ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ

أرادت انما هي ذات اقبال وادبار .. وقال قوم ان المعنى اصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك .. وقال آخرون الهاء في قوله تعالى (انه عمل غير صالح) راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك لابي ما ليس لك به علم انه عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح ذلك السؤال والرغبة في قوله عليه الصلاة والسلام (رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) ومعنى ذلك نبي كما نجيهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لأن الصغيرة جائزة عليهم ومن يمنع أن يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم .. فاذا قيل له لم قال تعالى (لا تسألني ما ليس لك به علم) فكيف قال نوح عليه الصلاة والسلام من بعد (رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) .. قال لا يمتنع أن يكون نبيه عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه لم يكن يعوذ عليه الصلاة والسلام من ذلك وان لم يواقعه ألا ترى ان الله تعالى قد نهي نبيه عليه الصلاة والسلام عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك وقع منه فقال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) وكذلك لا يمتنع أن يكون نبيه في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه الصلاة والسلام انما سأل نبياً ابنه باشرط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء .. فأما القراءة بالنصب فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب أن يقال انه عمل عملاً غير صالح لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى تقول عملاً غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لأن من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صواباً وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً .. وقال عمر بن أبي ربيعة المأخوذ ومي

أَيُّهَا الْقَائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ أَخْرَجَ النَّصْحَ وَأَقْلَبَ عِتَابِي

وقال أيضاً

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنِّي
وَمِنْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ

إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمِيِّ^(١)

وأشدنا أبو عبد الله لرجل من بحيلة

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مَنَّكَتِ الْقُوَى

مَا لَنْ لَهُ تَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ

مَا لَنْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا فَعَلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ

وَمُشِيعَ جَلْدِ أَمِينِ حَازِمٍ مَرَسَ لَهُ فِيمَا يَرُومُ مَرَامُ

أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ فَكَأَنَّهُ فِيمَا يُجَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس البرزدي قال حدثنا ميمون بن

(١) وقبل البيتين

فلم أر كالنجمير منظر ناظر ولا كليل الحج أفنن ذاهوي

وبعدهما

يسحبن اذيال المروط بأرؤق خدال وأعجاز ما كمها روي

وسبب هذه الابيات ان أم عمرو بنت مروان حجت فلما قضت نكحها أنت عمر
ابن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء خادته ثم انصرفت وعادت اليه منصرفها من
عرفات وقد أنبتها فقالت له لا تذكرني في شعرك وبعثت اليه بألف دينار فقبلها واشترى
بها ثيابا من ثياب اليمن وطيباً فأهداه اليها فردته فقال إذا والله اتبه الناس فيكون
مشهوراً فقبلته

مرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلی قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب
بفتى العسكر يميل الى الأصمعي ويفضله ويقوم بأمره قال فجنته يوماً بعد موت محمد
وعنده عبد كان ل محمد أسود وقد ترك الناس وأقبل عليه وسأله ونحني به وحادثه فلما
خرج لثته على ذلك وقلت من هذا حتى أتيت عمر يومك به فقال هذا غلام ابن
منصور ثم أنشدني

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَىٰ أَخُوها قَقُلْتُ أَتَىٰ الْحَبِيبَ أَخُو الْحَبِيبِ
أُحِبُّكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدُ لِإِنَّ نَاسَبَتَ بَنْتَهُ مِنْ قَرِيبِ

فقلت له وكنت أفعل هذا كثيراً به لاستعجر كلامه وعلمه يا أبا سعيد ذلك أخوها وهذا
غلامه فضحك وقال أنشد أبو عمرو أو قال غيره

أَرَىٰ كُلَّ أَرْضٍ أَوْطَنْتَهَا وَإِنْ خَلْتُ لَهَا حِجَجٌ تَنْدَىٰ بِمِسْكِ تَرَابِهَا
حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَىٰ تَبَعًا لَهَا ذِيابَ الْفَضَىٰ حَنَّتْ إِلَيَّ ذِيابِهَا

قال فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه واجادة حفظه له متى أرادته . . . وبهذا الاسناد
عن اسحق الموصلی قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلِهَا بَرَوْضِ الشَّرَىٰ عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ

فقال لي أنعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهراً فأتيت لافسكت عنى فقلت ان كان
فيه شيء فافديته قال نعم أما يدلك البيت على انه لفظ ملك مسهين ذى قدرة على ما يريد
قال اسحق وما رأيت قط مثل الأصمعي في العلم بالشعر . . . وروى عن اسحق أيضاً
انه قال قال لي الأصمعي ما يعنى امرؤ القيس بقوله

فَمِثْلِكَ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَمَرْضِعِ

فَالْبَيْتِهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مَحْوَلِ

فقلت نخبرني فقال كان مفركاً فيقول ألبيت هؤلاء عن كراهتهم للرجال فكيف انا عند
الحبات لهم . . . وروى ان السبب الذي هاج التنافر بين الأصمعي وابن الاصرابي ان

الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الأعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم
 أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام أبياتاً لرجل من بني كلاب رَوَاهُ إِيَّاهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ
 رَأَتْ نِضْوً أَسْفَارٍ أَمِيمَةً شَاحِبًا عَلَى نِضْوٍ أَسْفَارٍ فَجُنَّ جُنُونُهَا
 فَقَالَتْ مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنُّ

فإنك راعي صُرْمَةٍ لَا يَزِينُهَا

فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَيَّ الْفَتَى بَعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا
 عَلَيْكَ بَرَاعِي ثَلَاثَةٌ مُسَلَّحَةٌ بِرُوحٍ عَلَيْهِ مَخْضُهَا وَحَقِينُهَا
 سَمِينُ الضَّوَّاحِي لَمْ تُورِقْهُ لَيْلَةٌ وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعَوْنُهَا

ورفع ليلة فقال له الأصمعي من رَوَاكَ هَذَا فَقَالَ مُؤَدِّبِي فَأَحْضَرَهُ فَاسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ
 ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال إنما أراد أنه لم تورقه ليلة أبكار الهموم
 وعونها وألم أي زاد على هذه الصفة . . وقوله - سمين الضواحي - أي ما ظهر منه وبدأ
 سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس بموضع لتأديب ولدا للملك
 . . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا
 الأصمعي قال ولد لبشار بن برد أكمة لم ينظر إلى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاة فقلت
 له يوماً من أين لك هذا الذكاء قال من قدم العمي وعدم المناظر يمنع من كثير من
 الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وسحة الذكاء وأنشد لنفسه بفخر بالعمي

عَمِيَتْ جَنِينًا وَالذُّكَاةُ مِنَ الْعَمَى فَجَنَّتْ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلِيمِ مَوْثَلًا
 وَغَاضَ ضِيَاءَ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِدًا بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا
 وَشِعْرِ كَنُورِ الرُّوضِ لَا أَمْتُ بَيْنَهُ

بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشِّعْرُ أَسْهَلًا

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس الزبيدي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا

الأصمى قال أنشد رجل وأنا حاضرُ بشاراً قول الشاعر
 وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنُ وَعَيُونُ
 إِلَّا إِنَّمَا لِي عَصِي خَيْرُ رَأْيَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ
 فقال بشار والله لو جعلها عصي مخ أو زيد لها كان إلا مخطئاً مع ذكر العمى ألا قال
 كما قلت

وَحَوْرَاءُ الْمَدَامِيعِ مِنْ مَعَدِّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْجُمَانِ
 إِذَا قَامَتْ لِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرِ زَانِ
 يُنْسِيكَ الْمُنَى نَظْرُهَا إِلَيْهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمَانِ

•• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن
 شبة قال قال لي أبو عبيدة رحل بشار إلى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك
 وكان مقبلاً بمران فقال فيه قصيدة طوبى له أو لها

نَأْتِكَ عَلَى طَوْلِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ وَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ
 وكان سليمان بخيلاً فأعطاه خمسة آلاف درهم ولم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال
 إِنَّ أَمْسَ مِنْ شَنِجِ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى

وَعَنِ الْعَدْوِ مُحْبَسُ الشَّيْطَانِ
 فَلَقَدْ أَرُوهُ عَلَى اللَّثَامِ مُسَلَّطًا
 تَلِجُ الْمَقَامِ مِنْ مَعِ النَّذَمَانِ
 فِي ظِلِّ عَيْشِ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ
 تَنْدَى يَدِي وَيَخَافُ فَرَطُ لِسَانِي
 أَرْزَمَانَ سِرْبَالِ الشَّبَابِ مُذَبَّلًا
 وَإِذِ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ مِنْ حَرَّانِ
 رَنَمٌ بِأَحْوِيَةِ الْعِرَاقِ إِذَا بَدَأَ
 بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكَلَةُ الْمَرْجَانِ
 فَكَلَّ بِعَبْدَةِ مَقْلَتِيكَ مِنَ الْقَدَى
 وَبِوَشَكِ رُؤْيَيْهَا مِنْ الْهَمْلَانِ

فَلْقُرْبُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مُتِمٌّ
اشْفَى لِدَائِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ

فلما رجع الى العراق بره ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدهه
قبساً وافتنخاره بها فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه . . . وأخبرنا المرزباني قال
حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأسمي

ما وصف أحدهم النفر إلا احتاج الى قول بشر بن أبي خازم

يُفَلِّجَنَّ الشِّفَاةَ عَنْ أَقْحَوَانَ
جَلَاهُ غِبَّ سَارِيَةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحدهم اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا
فِي أَدِيمِ الْخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ

شَفَّ عَنْهَا مُحَقِّقٌ جُنْدُبِي
فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ

ولا وصف أحدهم عيني امرأة إلا احتاج الى قول ابن الرقاع

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأَيْتُ قَدْ بَدَا
فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

فِكَأَنَّهَا وَسَطَ النِّسَاءِ اعَارَهَا
عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ

وَسَنَانُ أَفْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَقَّتْ
فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

ولا وصف أحدهم نجيباً إلا احتاج الى قول حميد بن ثور

مُحَلِّيٌّ بِأَطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا
عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّانِ لَوْ يَتَقَوَّفُ

ولا وصف أحدهم ظليماً إلا احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هَيْقُ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ
يَبْتُ أَطَافَتْ بِهِ خَرَقَاهُ مَهْجُومُ

ولا اعتذر أحد إلا احتاج الى قول النابغة

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي
وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُتَنَائِي عَنْكَ وَاسِعُ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . . أما قول حميد محلي بأطواق عناق . . . فإنه

يريد أن عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتها وسماها حلية من حيث كان موسوماً

بهما ٠٠ ومعنى - بينها على الضراء - يبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم انه كريم -
 والنقوف - من التباينة ٠٠ فأما قول علقمة هيق - فالهيق - ذكر النعام ٠٠ ومعنى -
 أطافت به خرقاء - أى عملته وابتنته وقيل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة
 تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة ٠٠ ومعنى - مهجوم - أى مهسوم ٠٠
 وقال الأصمى معنى أطافت به عملته فخرقت في عمله يقول قد أرسل جناحه كأنه خباء
 امرأة خرقاء كما رفعت ناحية استرخت ناحية أخرى والوجه الثاني أشبه وأملح ٠٠ فأما
 قول بشر بن أبى خازم في وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول النابغة

كالأفحوانِ غداةَ غبِّ سمانِهِ جفَّتْ أعاليهِ وأسفلُهُ نَدِ

فأما وصف أعاليه بالجفوف ليكون متفرقاً متضدّاً غير متلبد ولا مجتمع فيشبه جبلة
 الثغور ٠٠ ثم قال وأسفله ندى حتى لا يكون خلاً يابساً بل يكون فيه الغضاضة والصقالة
 فيشبه غروب الاسنان التي تلمع وتبرق ٠٠ وروى الرياشى قال سمعت الأصمى يقول
 أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذى الرمة

وتجلو بفرعٍ من أراكٍ كأنه من العنبرِ الهنديِّ والمسكِ ينضحُ
 ذرى أفحوانٍ واجهَ الليلَ وارتقى إليه الندى من رامةِ المتروحِ
 هجانُ الثنايا مغرباً لو تبسّمت لأخرسَ عنه كادَ بالقولِ يفصحُ



مجلس آخر ٣٩

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا
 أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون) ٠٠ فقال
 كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة وأما تأويل قوله تعالى
 (وهم كافرون) فظاهره يقتضى انه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزحق أنفسهم في

حال كفرهم لأن القائل اذا قال أريد أن يلتقي فلان وهو لابس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة . . . الجواب قلنا أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه . . . أولها ما روى عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا يعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى (اذهب بكتابي هذا فآلته اليهم ثم نول عنهم فانظر ماذا يرجعون) . . . وأشد في ذلك قول الشاعر

عشية أبدت جيد أدماء مغزِلٍ و طرفاً يريك الإثم الجون أحورا

يريد و طرفاً أحور يريك الإثم الجون وقد اعتمد على هذا الوجه أيضاً أبو علي قطرب وذكره أبو القاسم البلخي والزجاج . . . وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة إيلاء لهم واستخفاف بهم وانما أراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصاحبة الداعية الي ذلك وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم والعقاب الأليم في النار آجلتهم وهذا جواب أبي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا التأويل مع اننا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدي المسلمين ولا يقدررون على غنيمة أموالهم ونجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد من أوجب الله تعالى محاربتهم فأما الذين هم بحيث لا تنالهم الأيدي أو هم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسبي ويفنم ويجهاد ويقلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد . . . وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم

(٢٠ - أمالي فيه)

بذلك كلما يدخله في الدنيا عليهم من القوم والمصابب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجزاء للمعوض والنفع ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنه حي من العذاب الدائم الذي قد أعد له واعلامه أنه صائر إليه او منتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره أبو علي الجبائي أيضاً ٠٠ ورابعها جواب يحكي عن الحسن واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك ما أزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً ٠٠ [قال الشريفة المرتضى] رحمه الله وهذا وجه غير صحيح لأن الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال أن يكون إنما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة والاعتق في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصابب والقوم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد وهو المصلحة في الدين فاقترن الأمران وليس لهم أن يقولوا ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم وإنما هو في اخراجهم لأموالهم على سبيل التكره والاستتقال وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره وخرج الأمر من أن يكون مراداً لله تعالى لانه جل وعز ما أراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقرية فاذا أخرجوها متكرهين مستنقابين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريد الله تعالى ٠٠ [قال الشريفة] رحمه الله وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآيات الجواب التقديم والتأخير مبنية على ان الحياة الدنيا طوق للعذاب فيحمل كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ويطلق ذلك وما يحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتأخير اذا لم يجعل الحياة ظرفاً للعذاب بل جعلناها ظرفاً للفعل

الواقع بالأموال والأولاد المتعلق بهما لا لنا قد علمنا أولاً ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد نفسها لا تكون غذاباً والمراد على سائر وجوه التأويل المتعلق بها والمضاف إليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها والغم عليها أو اباحة غنيمتها واخراجها عن أيدي مالكيها فكان تقدير الآية انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها فإذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا لأفعالهم التبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتسخطه كافقهم الأموال في وجوه المعاصي وحملهم الأولاد على الكفر وإزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه ظاهر يقضى عن التقديم والتأخير وسائر ما ذكره من الوجوه . . فاما قوله تعالى (وتزهق أنفسهم) فعناه تبطل وتخرج أى أنهم يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال نفسها على ما ظنوه لأن الواحد منّا قد يأمر غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البني وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منزهمون ولا يكون مريداً لحرب أهل البني للمؤمنين وان أراد قتالهم على هذه الحالة وكذلك قد يقول لغلامه أريد أن تواظب على المصير الى في السجن وأنا محبوس وللطبيب صر الى ولازمني وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين . . وقد ذكر في ذلك وجه آخر على أن لا يكون قوله (وهم كفرون) حالا لزهوق أنفسهم بل يكون ذلك كأنه كلام مستأنف والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كفرون صائرون الى النار وتكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى تزهق أنفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلاناً حتى مات وتلفت نفسه وأخرجت روحه وما أشبه ذلك

[قال الشريف] رضى الله عنه ذا كرنى قوم من أهل الأدب بأشعار الحمدنين وطبقتهم وانتهوا الى مهوان بن يحيى بن أبي حفصة فأفرط بعضهم في وصفه وتقريفه

وتفضيله وآخرون في ذمّه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستغبروا عما اعتقده
فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الألفاظ غير متصرف في المعاني ولا
غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت النفاثر في شعره ومدائح مكررة الألفاظ
والمعاني وهو غزير الشعر قليل المعنى الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحنق وهو
أشعر من كثير من أهل زمانه وأشعر شعراء أهله ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد
في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني وحسن الألفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن
بريد في الأبيات النادرة السائرة فكأنه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديداً ولا
منحط عنهما بعيداً وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك
أبو عمرو الشيباني وكان الأصمعي يقول مروان مؤلّد وليس له علم باللغة واختلاف
الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبية على معانيه وبحسب ما يستنبطونه من
مذاهبه وطرائفه فسئلت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع الى من شعره وأنبه على
سرقاته ونفاثر شعره وان أملى ذلك في خلال المجالس وأثنائها • فما يختار من شعره
قوله من قصيدة يمدح بها المهدي أولها

أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحْبَةِ عَائِدُ أَجَلٌ وَاسْتَحْفَتِكَ الرَّسُومُ الْبَوَائِدُ

يقول فيها

تَذَكَّرْتُ مِنْ تَهْوَى فَأَبْكََاكَ ذِكْرُهُ

فَلَا الذِّكْرُ مَنَسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ جَامِدٌ

تَحْنُ وَيَأْبِي أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى	وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ
أَلَا طَالَمَا أَنْهَيْتَ دَمْعَكَ طَائِعاً	وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآنِسَاتُ النَّوَاهِدُ
تَذَكَّرْنَا أَبْصَارَهَا مَقْلُ الْمَهَا	وَاعْتَاقَهَا أَذْمُ الظُّبَاءِ الْعَوَاقِدُ
تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةً	تَسَاقَطَ دُرٌّ اسْلَمْتَهُ الْمَعَاقِدُ

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَادَبَتْ
يَمَانِيَّةٌ يَنْأَى الْقَرِيبُ مَحَلَّهُ
تَجَلَّى الشَّرَى عَنْهَا وَالْعَيْسُ أَعْيُنُ
إِلَى مَلِكٍ يَنْدَى إِذَا يَيْسَ الثَّرَى
لَهُ فَوْقَ مَجْدِ النَّاسِ مَجْدَانِ مِنْهُمَا
وَاحْوَاضُ عَزِّ حَوْمَةٌ الْمَوْتِ ذُونَهَا
أَبَادِي بَنَى الْعَبَّاسُ بَيْضُ سَوَابِغُ
وَهُمْ يَبْدِلُونَ السَّمَكَ مِنْ قُبَّةِ الْهَدْيِ
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا
يَكُونُ غَرَارًا تَوْمَهُ مِنْ حِذَارِهِ
كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا

[قال الشريف] رضى الله عنه . . أما قوله

تساقط منهن الأحاديث غضة تساقط دُرٌّ أسلمته المعاهد

فيكثر في الشعر وأظن أن الأصل فيه أبو حبة النخري في قوله

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصِي الرَّجَانِ مِنْ سِلْكٍ نَاطِمٍ^(١)

(١) وهو من أبيات أولها

وخبرك الواشون أن لن أحبكم
أصد وما الصد الذي تعلمينه
حياء وبقيا أن تشبع نعمة
فان دما لو تعلمين جنينه
أما إنه لو كان غيرك أرقلت
بلى وستور الله ذات المحارم
عزاء بكم إلا ابتلاع الصلاقم
بنا وبكم أف لأهل التمام
على الحي جاني مثله غير سالم
إليه التقى بالراعفات الالهادم

وانما عنى بالمرجان صفار اللؤلؤ وعلى هذا يتأول قوله تعالى (يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ)
 .. ومثله قول الآخر

هِيَ الدُّرُّ مَشُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ وَكَالدُّرِّ مَجْمُوعًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ
 .. ومثله

مِنْ تَغْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيرُ مٌ وَلَفْظُهَا الدُّرُّ النَّثِيرُ

ونظيره قول البحترى وأحسن غاية الاحسان

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدَ لَنَا تَعَجَّبَ رَائِي الدُّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً
 فَمِنْ لَوْلُؤٍ تَجَاوَهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُؤٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطَةٌ

ومثله قول الأخطال

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجَفُ اللَّيْلِ مَلْفِي وَقَدْ اصْغَتْ إِلَى الْغَرْبِ النُّجُومُ
 كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَثِيرُ وَرَوْنَقُ تَغْرِهَا دُرٌّ نَظِيمُ

ولغيره

تَبَسَّمتْ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَظِمًا وَحَدَّثَتْ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَشِرًا

ولآخر

وَتَحْفَظُ لَأَمِنْ رِيَّةٍ يَحْتَدِرُونَهَا وَلَكِنَّهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تَحْفَظُ
 وَتَلْفَظُ دُرًّا فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى وَلَمْ نَرِ دُرًّا قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفَظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أَظْهَرْنَ وَصَلًا إِذْ رَحِمْنَ مُتِيمًا وَأَرَيْنَ هَجْرًا إِذْ خَشَيْنَ مُرَاقِبًا

ولكنه والله ما طل مسلماً كفر الثنايا واضحات الملائم

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى سقوط حصي المرجان من سلك ناظم

رَمِينِ فَأَقْصِدْنَ الْقُلُوبَ وَلَا تَرَى دَمَا مَاتُوا الْأَجْوَى فِي الْحِجَازِ

فَنظَّمْنَ مِنْ دُرِّ الْمَبَّاسِ جَامِدًا وَنَثَرْنَ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِيعِ ذَائِبًا

[قال الشريف] رضى الله عنه وليس قول أبي هذيل في صفة الحديث

كَتَسَاقَطِ الرُّطْبِ الْجَدِّ يِّ مِنَ الْأَقْنَاءِ لَا تَثْرًا وَلَا تَزْرًا

من هذا الباب في شيء لأن جميع ما تقدم هو في وصف الثغر وهذا في وصف حسن الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كانتثار الرطب من الاقناء ويشبهه أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم انه غض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجنى فيجتمع له أغراض الوصف له بالفصاحة والاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الغضاضة ونظير قول أبي الهذيل قول ذى الرمة

لَهَا بَشْرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لِأَهْرًا وَلَا تَزْرٌ^(١)

فأما قول مروان

إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَبَسَ التَّرَى بِنَائِلٍ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

فمثل قول أبي حنبل النخعي في يحيى بن خالد البرمكي

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ اتْلَفْتُ مَالِي

(١) وبعده

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالأللاب ما فعل الخمر

— رخم الحواشي— لينها— والهرام— كغراب المنطق الكثير أو الفاسد الذي لا نظام له
 ••• وروى أن الفرزدق حضر مجلس عبد الله بن أبي اسحاق فقال له كيف تشد هذا البيت
 وعينان قال الله كونا الخ فأنشده فعولان فقال له عبد الله ما كان عليك لو قلت فعولين
 فقال له الفرزدق لو شئت أن أصبح لسبحت ونهض قلم يعرفوا مراده فقال عبد الله لو
 قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد أنهما تفعلان ما فعل الخمر اه
 وكان هنا تامة لاخبر لها

نُوَيْمَسُ الْبَخِيلُ رَاحَةً يَجِييُ لَسَحَتْ نَفْسُهُ يَبْدَلِ النَّوَالِي

ومثله قول ابن الخطيب المدني في المهدي

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَتَبَتِي الْغَنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغَنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَاتْلَفْتُ مَا عِنْدِي

وقد قيل ان هذا الشاعر كأنه مصرح بالهتاج لأنه زعم ان الذي لمس كفه لم يفده شيئاً بل أعدها جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلا المدح ولقوله وجه وهو ان ذوى الغنى هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غنى فأراد الشاعر اني لم أفد منه ما بقي في يدي واستقرت تحت ملكي فلهذا قال لم يفد ما أفاد ذوى الغنى . . . ومن هذا المعنى قول مسلم

إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافَحَ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَمَا كَانَ حَيًّا فِي الْبَرِيَّةِ يُبْخَلُّ

ومثله قول أبي العكوك

لَوْ لَمَسَ النَّاسَ رَاحَتِيهِ مَا بَخَلَّ النَّاسُ بِالْمَطَاءِ

وأحسن من هذا كله وأشبهه بالمدح وأدخل في طريقتة قول البحري

مَنْ شَاكَرُ عَنِّي الْخَلِيفَةَ بِالَّذِي أَوْلَاهُ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ إِحْسَانٍ
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بَخْلِي فَاغْتَرَنِي كَمَا اغْتَنَانِي
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي
وَوَثِقْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مُعْجَلًا مِنْهُ فَاعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي

ومن هذا المعنى قول الآخر

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَلِيفَةً إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخْلُقًا
وَلَوْ جَزَتْ فِي أَيَّانِهِمْ لَتَعَلَّمْتُ يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحْتَ مُمْلَقًا

ولابن الرومي

يَجُودُ الْبَخِيلُ إِذَا مَارَا لَسَوْ يَسْطُو الْجَبَانَ إِذَا عَايَنَا

وأما قوله

وَأَحْوَاضُ عَزَّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفِ لَيْسَ عَنْهُنَّ زَائِدُ

فيشبه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله

لَنَا أَيْبُلُ كَوْمٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا

فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمَنْ دُونَنَا أَنْ نُسْتَدَمَّ دِمَاؤُهَا

حَمِيٍّ وَقِرَى فَا الْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَيْسَرُ خَطْبٍ عِنْدَ حَقِّ فَنَاؤُهَا (١)

وقد أحسن إبراهيم في آياته كل الاحسان فأما قوله

يَكُونُ غَرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قَبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ

فكثير متداول .. ومن أحسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نِعْمَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّعِيَّةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكُرَى لَمْ يَرْقُدِ

.. ومثله

وَيَظَلُّ يَحْفَظُنَا وَنَحْنُ بِغَفْلَةٍ وَبَيْتُ يَكْلُونَا وَنَحْنُ نِيَامُ

ومثله للبحراني

أَرْبَعَةُ الْفُرْسِ اشْكُرِي يَدَ مَنْعِمٍ وَهَبِ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيِّ الْجَبَانِي

رَوَّعْتُمَا جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمَا مِنْهُ حَمِيَّةَ آئِفٍ غَيْرَانِ

لَمْ تَكْرَعَنَّ قَاصِي الرَّعِيَةِ عَيْنُهُ فَتَنَامَ عَنْ وَتْرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي

فأما قوله

(١) كان نعلب يقول كان إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين وينشد هذه الأبيات

ويقول لو كان هذا لبعض الأوائل لاستجيد له ولم يرو نعلاب قط شعر كاتب غيره

كان أمير المؤمنين محمداً لرأفته بالناس للناس والد

فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد

أَحْيَى لَنَا يَحْيَى فَعَالَ خَالِدٍ

يَسْخُو بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدٍ

الناسُ في إِحْسَانِهِ كَوَاحِدٍ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها

خَلَّتْ بَعْدَنَا مِنْ آلِ لَيْلَى الْمَصَانِعُ

وهاجت لنا الشوق الديارُ البلاقعُ

يقول فيها

ومالى إلى المهدي لو كنتُ مذنباً

ولا هو عند السخط منه ولا الرضى

تغضُّ له الطرفُ العيونُ وطرفه

سوى حلمه الضأفي على الناس شافعُ

بغير الذي يرضى به الله واقعُ

على غيره من خشية الله خاشعُ

أما قوله - ولا هو عند السخط منه ولا الرضى - البيت ٠٠ فمثل قول أشجع

وَلَسْتُ بِجَائِفٍ لِأَبِي عَلِيٍّ

وَمَنْ خَافَ الْإِلَهَ فَإِنَّ بِيخَافَا

٠٠ ومثله

أَمَّنِي مِنْهُ وَمَنْ خَوَّفَهُ

خِيفْتَهُ مِنْ خَشْيَةِ الْبَارِي

ولأبي نواس

قَدْ كُنْتُ خُفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنِي

مَنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهُ

ويشبه هذا المعنى ما روى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله انه دعا غلاماً مراراً

فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال له ما حملك على ترك اجابتي قال كسبت عن

اجابتك وأمنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني من يأمنه خلقه ٠٠

فأما قوله - تغض له الطرف العيون - فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق أو من
تنسب ^(١) إليه هذه الأبيات

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمَ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

(١) قوله أو من تنسب إليه يشير بهذا إلى ان القصيدة المشهورة التي تنسب للفرزدق
في سيدنا زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم التي قالها لما قال هشام حين
سأله رجل من أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الطيبة وذلك ان هشام حج في
خلافة أبيه فطاف ولم يستطع استلام الحجر لشدة الزحام فلما جاء زين العابدين رضي
الله عنه تحي الناس له فقال هشام للشامي لأعرفه فقال الفرزدق أنا أعرفه وأنشأ يقول
هذا سليل حسين نجل فاطمة بنت الرسول الذي انجابت به الظلم

فجسه هشام بين مكة والمدينة فقال الفرزدق أبياته التي منها

يَقَابُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادِرَ عِيُوبِهَا

فتمكث ثم بعث إليه زين العابدين رضي الله عنه اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحتك
لله تعالى لا للعطاء فقال زين العابدين إنا أهل بيت اذا وهبنا شيئاً لانستعيده فقبها ولم
ينبت للفرزدق منها غير سبعة أبيات ونسب بعضها إلى أبي دهل الجمحي . . وأما قوله
يغضى حياء الخ وقوله

فِي كَفِّهِ خَيْرَانِ رِيحِهَا عَبِقُ فِي كَفِّهِ أَرْوَعُ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ

فقبل انهما لداود بن سلم يمدح بهما قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد
المطلب وبعدهما

كَمْ هَاتَمَ بِكَ مِنْ أَوْجٍ وَرَايَةٍ يَدْعُوكَ يَا قَتْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قَتْمَ

وروى من غير هذا الوجه ان عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه سيأتيك الحزين
الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان فأياك أن تحتجب عنه وأرضه وصفته انه أشعر ذو
باطن عظيم الأنف فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له إياك أن تردده فلم يأت
الحزين حتى قام لينام فقال له الحاجب قد ارتفع فلما ولي ذكر فالحقه فقال ارجع

﴿ مجلس آخر ٤٠ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ إن سألت سائل عن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) ٠٠ وقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوله قوم من أنه يحول بين الكافر والإيمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة في اجابته ٠٠ الجواب قلنا أما قوله تعالى (يحول بين المرء وقلبه) ففيه وجوه ٠٠ أولها أن يريد بذلك تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يستوفى به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكأنه تعالى قال بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة

فاستأذن له فأدخله فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خيزران وقف ساكتاً فأمره عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له السلام عليك رحمة الله أولاً فقال عليك السلام وحيأ الله وجهك أيها الأمير أتى قد كنت مدحتك بشعر فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهاني عنه فأنسيت ما كنت قلته وقد قلت في مقامي هذا بيتين فقال ما هما فقال

في كفه خيزران ربحها عبق من كف أروع في عرينه شمع

يفضي حياءً ويفضي من مهابة فما يُكلم إلا حين يتسم

بتقديم الأول على الثاني في هذه الرواية فأجازه فقال اخذني أصلمك الله فانه لا خادم لي فقال اختر أحد هذين الفلامين فأخذ أحدهما فقال له عبد الله أعليتنا ترذل خذ الأكبر والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبيانه التي يمدح بها علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو غلط عن رواء فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثله وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد

بقلوبكم ويقوى ذلك قوله تعالى (وأنه اليه تحشرون) . . . وثانيها أن يحول بين
 المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وإن كان حياً وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه
 أنه بغير عقل قال الله تعالى (إن في ذلك لذكري لمن كان له قلب) . . . قال الشاعر
 وَلِيَّ الْفُوجِهِ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ وَلَكِنْ بَلَاقِلْبِ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ
 وهذا الوجه يقرب من الأول لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم والحث
 على الطاعات قبل فوتها لأنه لا فرق بين تعذر التوبة بانقطاع التكليف بالموت وبين
 تعذرها بإزالة العقل . . . وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه من عباده
 وعلمه بما يبطنون ويخفون وإن الضمائر المكتومة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه بادية
 ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ونحن أقرب اليه من جبل الوريد) ونحن نعلم أنه
 تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه وإذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا
 منا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسوه عنه ونضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز
 عليه جاز أن يقول أنه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء يحول
 بين شيئين فهو أقرب إليهما . . . ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف
 ونألف وإن كان القرب الذي عناء جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيراً
 لفظ القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان أقرب إلى قاي من فلان وزيد من
 قريب وعمرو من بعيد ولا يريدون بذلك قرب المسافة . . . ورابعها ما أجاب به بعضهم
 من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف
 فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأنه يبده بالخوف أمناً ويبدل عدوهم بظنهم
 أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور . . . ويمكن في الآية وجه خامس وهو
 أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعو اليه قلبه من القبائح بالأمر
 والنهي والوعيد والوعيد لانا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات
 والنفار لم يكن له عن التبيح مانع ولا عن مواقفته رادع فكان التكليف حائلاً بينه
 وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقفته وليس يجب في الحائل أن يكون
 في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم أن المشير منا على غيره في أمر كان قد هم به

وعزم على فعله أن يجتنبه والتمببه على ان الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال منعه
منه وحال بينه وبين فعله . . قال عبيد الله بن قيس الرقيات

حَالِ دُونَ الْهَوَىٰ وَدُوْنَ نَسْرِى اللَّيْلِ مُصْعَبُ

وَسَيَّاطٌ عَلَىٰ أَكْفٍ رِجَالٍ تَقَلَّبُ

ونحن نعلم انه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرهما . . فان قيل كيف يطابق
هذا الوجه صدر الآية . . قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى أمرهم بالاستجابة لله
تعالى ورسوله فيما يدعون اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقيحات فاعلمهم انه بهذا
الدعاء والإنذار وما يجري مجراهما يحول بين المرء وبين ما يدعو اليه نفسه من المعاصي
ثم ان المآب بعد هذا كله والمنقلب الى ما عنده فيجازي كلاً باستحقاقه . . فأما قوله تعالى
(اذا دعاكم لما يحيبكم) ففيه وجوه . . أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان
تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التي يؤمن من تغيرها ولا يخاف انتقالها فكانه تعالى حث
على اجابته التي تكسب هذه الحال . . وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقاتل
العدو فكانه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام فيما يأمرهم به من
قتال عدوهم ودفعتهم عن حوزة الاسلام وأعلمهم ان ذلك يحيبهم من حيث كان فيه
قهر للمشركين وتقليل لعدوهم وقل لجهدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا وقووا
استلنوا جانب المؤمنين وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فن هنا كانت الاستجابة
له عليه الصلاة والسلام تقتضى الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ولكم في
القصاص حياة) . . وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلمها بأنه حي كما
ان المعاصي يوصف فاعلمها بأنه ميت والوجه في ذلك ان المؤمن الطائع لما كان منتفعاً
بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصي لا ينتفع
بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منفص
الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع
بحياته . . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لاني

الفاعل لانا قد علمنا انه عليه الصلاة والسلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين
 المخالفين لملكه وقتانهم وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شروطها
 فكأنه تعالى قال فاستجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير
 أحياء من حيث تعبد عليه الصلاة والسلام بقتالكم وقتلكم فاذا أطمعتم كنتم في الحكم
 أحياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وانما أراد تعالى إنا يجب
 أن يكون آمناً وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع .. فأما المجبرة فلا شبهة لهم
 في الآيات ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآيات
 لا يقتضي أن يحول بينه وبين أفعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه
 وليس للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للآيات ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك
 ولا يضر قناعتها بأدلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما أمر به وأراده
 منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
 عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي
 قال حدثنا أحمد بن عمرو بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن
 عوف قال حدثني عمرو بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحمص بن
 خديفة بن بدر وجمعه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت
 أهون مما أجد فأيتكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك ابداً بأ كبيرهم فقال قم فخذ سيفي واطعن
 به حيث أمرك ولا تعجل قال يا أبتاه أيتل المرء أباه فأني على القوم كلهم فأجابوه بجواب
 الأول حتى انتهى الي عينة فقال يا أبتاه ليس لك فيما تأمرني به راحة ولي بذلك طاعة
 وهو هواك قال بلى قال فأمرني كيف أصنع قال الق سيف انما أردت ان أعلم أيتكم
 أمضى لما أمر به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم انه سيقول في ذلك
 آياتاً فأحضره فلما أمسى قال

وَلَوْ أَعْيَنَتَنِي مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ وَاسْتَيْقَنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ
 إِمَاهِلَكْتُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ عِزَّ الْحَيَاةِ بِمَا قَدَّمْتُ قَدَائِمِي

واستوسقوا للتي فيها مروءتكم
 والقرب من قومكم والقرب ينفعكم
 ولي حذيفة إذ ولي وخلفني
 لا أرفع الطرف ذلاً عند مهلكه
 حتى اعتقدت لوى قومي فقمبت به
 لما قضى ما قضى من حق زائره
 استموا لما كانت الآباء تطلبه
 والدهر آخره شبه لأوله
 فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم
 قود الحيات وضرب القوم في الهام
 والبعد إن باعدوا والرأي للرامي
 يوم الهبابة يتيماً وسط أيتام
 التي العدو بوجه خده دامي
 ثم ارتحلت إلى الجفني بالشام
 عجت المطي إلى النعمان من عامي
 عند الملوك فطرفي عندهم سامي
 قوم كقوم وأيام كأيام
 من بين بان إلي العليا وهدام

قال ثم أصبح ودعا بني بدر فقال لوأتي ورياستي لعينته واسمعوا متى ما أوصيكم به لا يترك
 آخركم على أولكم فأنما يدرك الآخر ما أدركه الأول وانكحوا الكنف الغريب فانه
 عز حادث واذا حضركم أمران نخفدوا بخيرهما صدراً فان كل مورد معروف واحسبوا
 قومكم بأجل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزري بالرئيس
 المطاع واذا حدثتم فاربعوا ثم قولوا الصدق فانه لا خير في الكذب وصونوا الخيل
 فانها حصون الرجال وأطيلوا الرماح فانها قرون الخيل وأعنوا الكبير بالكبر فإني بذلك
 كنت أغلب الناس ولا تغزوا إلا بالعيون ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح واعطوا
 على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيرهم أحجبه وآتقوا فضيحات البني وقلنات
 المزاح ولا نجبروا على الملوك فان أيديهم أطول من أيديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات

حصن فأخذ عينته الرياسة . . . وقال

أطعت أبا عينته في هواه ولم تخرج صرمتي الظنون

وَقَدَّعَرَضَ الرَّئِيسَ عَلَى بَنِيهِ فَقَالَ الْقَوْمُ هَذَا لَا يَكُونُ
 سَتَحِيًّا أَوْ تَمُوتُ فَطَاوَلُوهُ وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونُ
 فَلَمْ أَقْتُلْ بِحَمْدِ اللَّهِ حِصْنًا وَكُلُّ فَتَى سَيَذْرَكُهُ الْمَنُونُ
 وَلَمْ أَنْكُلْ عَلَيْهِ وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا هَوَّنَتْهُ يَوْمًا يَهُونُ
 فَإِنْ يَكُ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ غَثًّا فَأَخْرَهُ بَنِي بَدْرِ سَمِينُ

وحكي عمر بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حذيفة وإنما أصابته اللقوة فحفظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة وإذا عظمت عين الانسان لقبوه ابا عيينة وأبا العيناه
 .. وروى قيس بن أبي حازم أن عيينة بن حصن بن حذيفة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال هذا أحق مطاع .. وروى أيضاً أنه كان يدلغ لسانه للحسين بن علي عليهما السلام وهو صبي فبرى لسانه فبهش له فقال له عيينة أراك تضع هذا بهذا فوالله أنه ليكون لي الابن رجلاً قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله وسلم أنه لا يرحم من لا يرحم .. ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار من شعره قوله من قصيدة أولها

صَحَابَعَدَ جَهْلٍ فَاسْتَرَأَجَتْ عَوَاذُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ
 وَمَنْ مَدَّ فِي أَيَامِهِ فَتَأَخَّرَتْ مَنِيَّتُهُ فَالشَّيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ
 هُوَ الْمَرْءُ إِذَا دِينُهُ فَهُوَ مَانِعٌ صَوْنٌ وَإِمَا مَالُهُ فَهُوَ بَازِلُهُ
 أَمْرٌ وَأَحْلَى مَا بَلَآ النَّاسُ طَعْمَهُ عِقَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ
 أَبِي لَمَّا يَا بِي ذُوو الْحَزْمِ وَالتَّحْيَى فَمَوْلُ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعِلُهُ
 تَرُوكُ الْهَوَى لَا السُّخْطُ مِنْهُ وَلَا الرَّضَى

لدى موطنٍ إلا على الحقِّ حاملة

بَرِي أَنْ مَرُّ الْحَقِّ أَحْلَى مَغْبَةً وَأَنْجَا وَلَوْ كَانَتْ زُعَافًا مَنَاهِلَهُ
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مِنْهُ هُوَ مُطْلَقٌ وَإِنَّ قَتِيلَ اللَّهِ مِنْهُ هُوَ قَاتِلُهُ
وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ
••• أما قوله - ومن مد في أيامه فتأخرت ••• منيته قال شيب لاشك شامه ••• فأخوذ من

قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مِنْ يَجْزَعُ
وَالأصل في هذا قول أمية بن أبي الصلت
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا
ويشبه ذلك قول الآخر

قُلْ لِعَرَسِي لَيْسَ شَيْبِي بِعَجَبٍ مِنْ يَعِشُ بِأَمِّ عَمَارٍ يَشِيبُ
ومثله قول أبي العتاهية

مَنْ يَعِشُ يَكْبُرُ وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتُ وَالْمَنَايَا لَا تَبَالِي مَنْ أَمَّتْ
ويشبه قول البحري

وَلَا بُدَّ مَنْ تَرَكَ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ فَإِمَّا الشَّبَابُ وَإِمَّا العُمُرُ
وقوله

وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَشِيئَتِهِ وَلَا تُجَاءُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الهَرَبُ
وقرب منه قول ابن المعتز

قَالَتْ كَبُرَتْ وَأَنْتَفَيْتَ مِنَ الصَّبَا فَقُلْتُ لَهَا مَا عَشْتُ إِلَّا لَأَكْبُرَا
ولبعضهم

وَلَا بُدَّ مَنْ مَاتَ فِيمَا شَبِيهُ وَإِمَّا مَشِيبٌ وَالشَّبِيبةُ أَصْلَحُ
مفني قوله - والشبيبة أصلح - إن الانسان إذا مات شاباً كان أكثر للعزرن عليه

والأسف على مفارقته فاذا أسن برم به أهله وهان عندهم فقدمه . . فأما قوله
 هو المرء إمام دينه فهو مانع صون وإما ماله فهو باذله
 فعناه متكرر في الشعر كثير جداً . . وأحسن شعر جمع بين وصف المدوخ يمنع
 ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد الأنصاري

يذكرُ نيكَ الجودِ والبخلِ والنهي
 وقولُ الخنا والحلمِ والعلمِ والجهلِ
 فالقالك عن مذمومها متزها
 والقالك في محمودها ولك الفضل
 وأحمدُ من أخلاقك البخلِ إنه
 برضك لا بالمال حاشالك البخلِ

وقد أحسن البحتري في قوله

بلونا ضرائب من قد نرى
 فنقل في خلقي سودد
 فكالسيف إن جنته صارخاً
 فما إن وجدنا لفتح ضريباً
 سماحاً مرجي وباساً مهيباً
 وكالبجر إن جنته مستثيباً

فأما قوله - تروك الهوى لا الـخط منه ولا الرضى - البيت . . فعنى متداول مطروق في

الشعر وقد ذكره هو في قوله

إذا هن القين الرحال ببابه
 إلى طاهر الأثواب ما نال في رضى
 حططن به ثقلاً وأذر كن مغنماً
 ولا غضب مالا حراماً ولا دماً

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات

ثبت الجنان إذا اضطكت بمظلمة
 لا المنطق الهوى يزكو في تبسمه
 في رحله السن الأوقام والركب
 يوماً ولا حجة الملهوف تستلب
 لا القلب يففو ولا الأحشاء تضطرب
 كأنما هو في نادي قبيلته
 وتحت ذاك قضاة حز شفرته
 كما بعض بظهير الغارب القتب

لَا سَوْرَةٌ تُتَّقَى مِنْهُ وَلَا بَلَّةٌ وَلَا يَخَافُ رِضَى مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

ومثله قول البعزى فى ابن الزيات أيضاً

وَجَهَ الْحَقِّ بَيْنَ أَخْذٍ وَإِعْطَاءٍ

وَوَقْصِدٍ فِي الْجَمْعِ وَالتَّبْدِيدِ

وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ قَرِيبٌ

عِنْدَهُ وَالْبَعِيدُ غَيْرُ بَعِيدٍ

لَا يَمِيلُ الْهَوَى بِه حِينَ يَمْضَى

أَمْرٌ بَيْنَ الْمُقْلِي وَبَيْنَ الْوَدُودِ

وَسَوَاءٌ لَدَيْهِ أَبْنَاءُ إِبْرَا

هِمٍ فِي حُكْمِهِ وَأَبْنَاءُ هُودٍ

مُسْتَرِيحٌ الْأَحْشَاءُ مِنْ كُلِّ ضَنْغِنٍ

بَارِذُ الصَّدْرِ مِنْ غَالِيلِ الْحُقُودِ

فأما قوله - وان قيل الله من هو قائله - فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول يزيد بن

مفرغ في عبيد الله بن زياد لعنهما الله

إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَّارًا بِذِمَّتِهِ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلًا اللَّهُ بِالزَّابِ

- أما قوله وانك بعد الله للحكم الذى تصاب به من كل حق مفاصله - ٠٠ فيشبهه قول

أبي تمام فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات ٠٠ وأجمع العلماء ان هذه

الآيات أحسن وأنعم من جميع ما قبل فى القلم

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَفَاصِلِ (١)

لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيهَا لَمَا أَحْتَفَلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلِ (٢)

(١) - الشبابة - حد القلم وغيره ومنها الشبا بالفتح والقصر ٠٠ وقوله - تُصَابُ - من

الأمس - روى أيضاً بنال من الأمر - والكلي - جمع كلبية وكلوة جاء بالياء والواو

- والمفاصل - جمع مفصل وهو ما تنقى كل عظمين ٠٠ أراد ان القلم يطبق المفصل

ويصادف المحز وبه ينال مقاصد الأمور فانه ينال بالأقلام ما يعجز عنه بجالدة الحسام

(٢) قوله - له الخلوات - يعنى ان أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السر يخلي

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرْزِي الْجَنِّي أَسْتَارَتُهُ أَيْدِي عَوَاسِلٍ^(١)

لهم الملوك المجالس للمشورة وبهم يحصل نظام الملك - والنجى - المسارر والتناجى المسارة
 .. وأراد به المشير فان المشورة تكون سراً غالباً - والاحتفال - حسن القيام بالأمور
 - والمحافل - جمع محفل كجلس ومقعد وهو المجتمع

(١) قوله - لعاب الأفاعى - الخ اللعاب ما يسيل من الفم - والقاتلات - صفة كاشفة
 للأفاعى ذكرها تهويل - والأرزي - بفتح الهمزة وسكون الراء مالزق من العسل في
 جوف الخلية - والجنى - بفتح الجيم والقصر العسل والاضافة للتخصيص فان الأرزي
 يأتي أيضاً بمعنى مالزق بأسفل القدر من العليخ وان جمعت الأرزي بمعنى العسل
 والجنى بمعنى كل ما يجتنى من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة - واشتارته -
 استخرجته يقال شار فلان العسل شوراً وشياراً وشياراً اذا استخرجه وكذلك أشاره
 واشتاره - وأيدى - جمع يد - والعواسل - جمع عالة أى مستخرجة العسل والعاسل
 مستخرج العسل من موضعه والمصرع الأول بالنسبة الى الأعداء والثانى بالنسبة الى
 الأولياء .. يعنى ان لعاب قلمه بالنسبة الى الأعداء سم قاتل وبالنسبة الى الأولياء شفاء
 عاجل .. فقوله لعاب مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعى خبر مقدم وأرزي معطوف على الخبر
 وجاز هذا مع تعريف الطرفين لأن المعنى دال عليه لان اللعاب القاتل انما هو لعاب
 الأفاعى فلعاب القلم مشبه به في التأثير وعلم من هذا انه ليس من التشبيه المقلوب فان
 لعاب القلم قد شبه بشيئين وهو السم والعسل باعتبارين وان جعلته من التشبيه المقلوب
 كان من عطف الجمل والخبر فى المعطوف محذوف وفيه تكلف اه من شرح الشواهد
 الكبرى .. فقوله السابق وان جمعت الأرزي بمعنى العسل والجنى بمعنى كل ما يجتنى من
 ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة .. قلت ان لزم ذلك فلا محذور فيه فان
 ابن مالك نص فى التوسيل على جواز اضافة الصفة الى الموصوف والموصوف الى القائم
 مقام الوصف وعلى كل حال فهمي مسألة خلافية فذهب البصريون الى منع ذلك مطلقاً
 وتأولوا ماورد منه وذهب الكوفيون الى الجواز اذا اختلف اللفظان من غير تأويل

لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَابِلٌ^(١)
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَاعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
إِذَا مَا امْتَطَى الخَمْسَ اللِّطَافَ وَأَفْرَغَتْ

عَلَيْهِ شِعَابُ الفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلٌ^(٢)

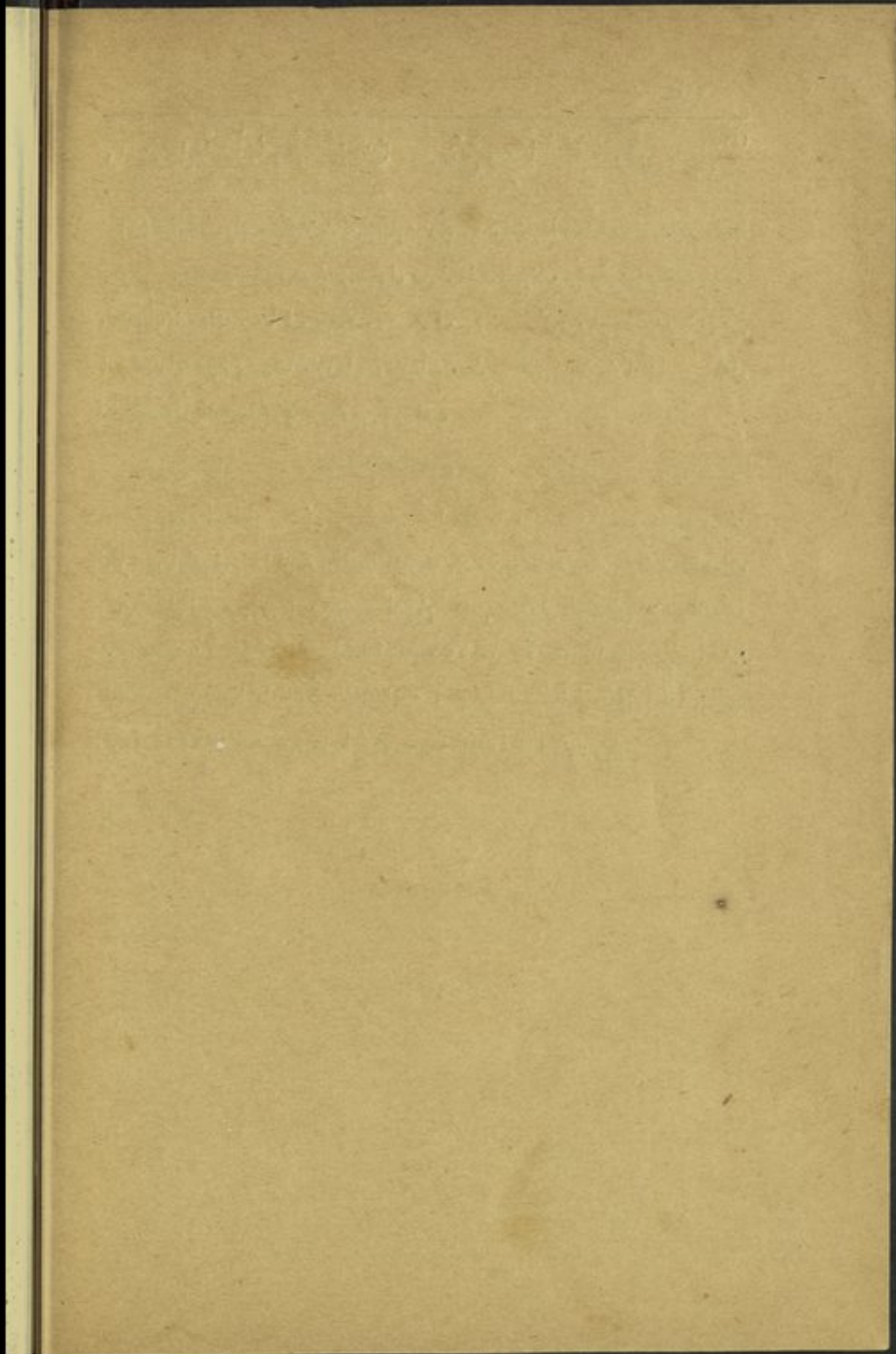
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ القَنَى وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الخِيَامِ الجَحَافِلِ^(٣)
إِذَا اسْتَفْزَرَ الذِّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي القِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ^(٤)
وَقَدْ رَفَدْتَهُ الخِنَصْرَانِ وَسَدَّدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الأَنَامِلُ^(٥)

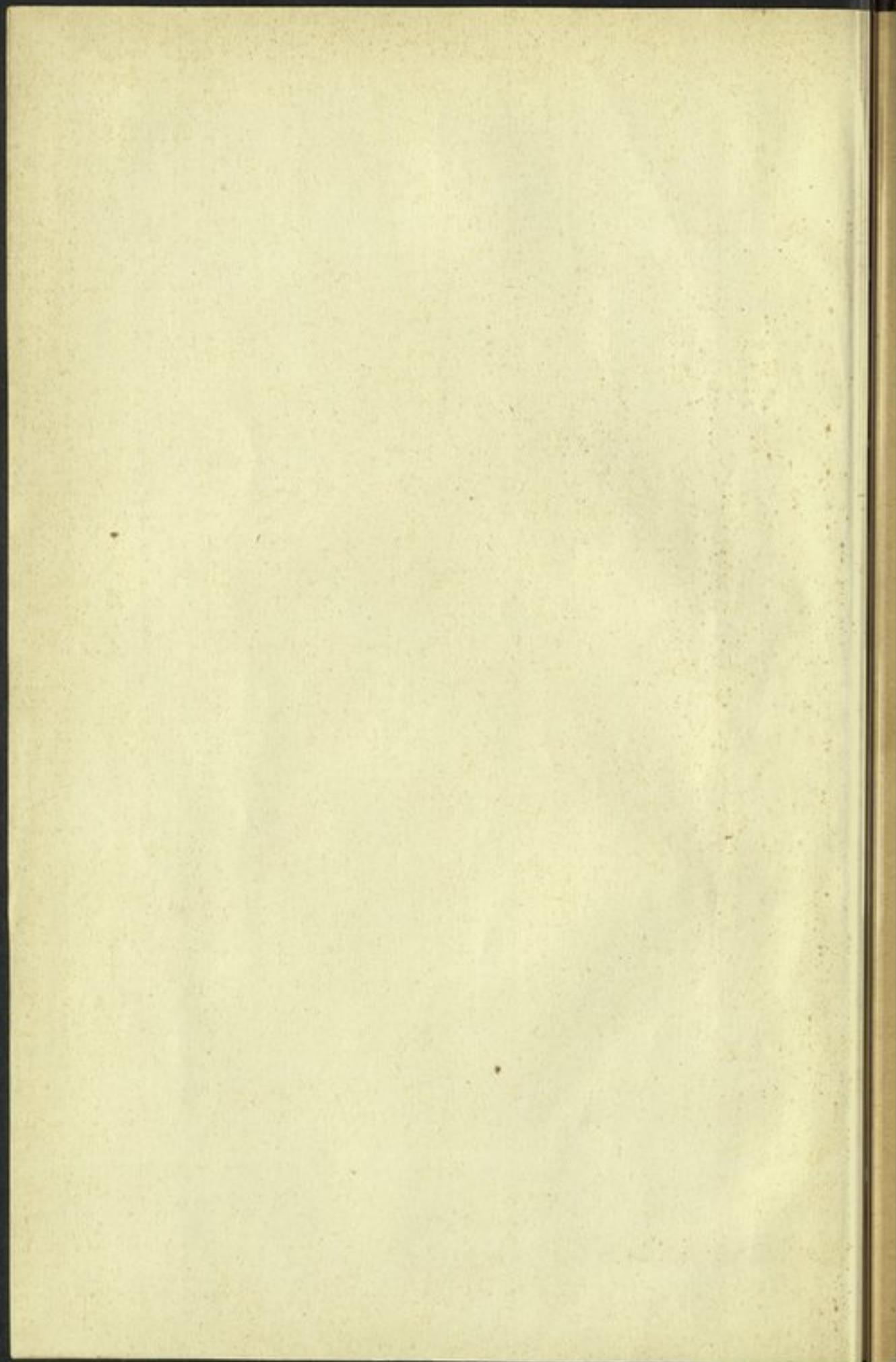
- محتججين بنحو قوله تعالى (حق اليقين • ولدار الآخرة • بجانب الغربي) وغير ذلك
- (١) قوله - له ربقة طل - ربقة مبتدا وطل وصفه والظرف قبله خبره والطل المطر الضعيف - وراويل - وكذا الويل المطر الشديد الضخم القطر • • يقول إن ما يجري من القلم حقير تافه في ظاهر الأمر لكن له أثر خبير عم المشارق والمغارب
- (٢) قوله - إذا ما امتطى الخمس اللطاف - الخ • • أراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس - والشعاب - جمع شعب بكسرهما الطريق في الجبل - والحوافل - جمع حافلة يقال حفل الابلن وغيره حفلا وحفولا اجتمع واحتفل الوادي امتلا وسال
- (٣) قوله - أطاعته أطراف القنى - الخ • • هو جواب إذا وروى أطاعته أطراف الرماح - وتقوضت - يقال تقوضت الصفوف إذا انتقضت وأصله من تقويض البناء وهو تقضه من غير هدم - والنجوى - السر وتقويض أى كتنقويض الخيام - والجحافل - فاعل قوضت وهو جمع جحافل بتقديم الجيم على المهملة كجمر الجيش
- (٤) قوله - إذا استفزر الذهن - استفزره وجده غزير أوفاعله ضمير القلم - والذكي - المتوقع وروى الخلي بدله والخلى الخالي وإنما تكون أعالي القلم أسافل حين الكتابة
- (٥) قوله - وقد رفدته الخنصران - الخ رفدته أعانته - وسددت - قومت

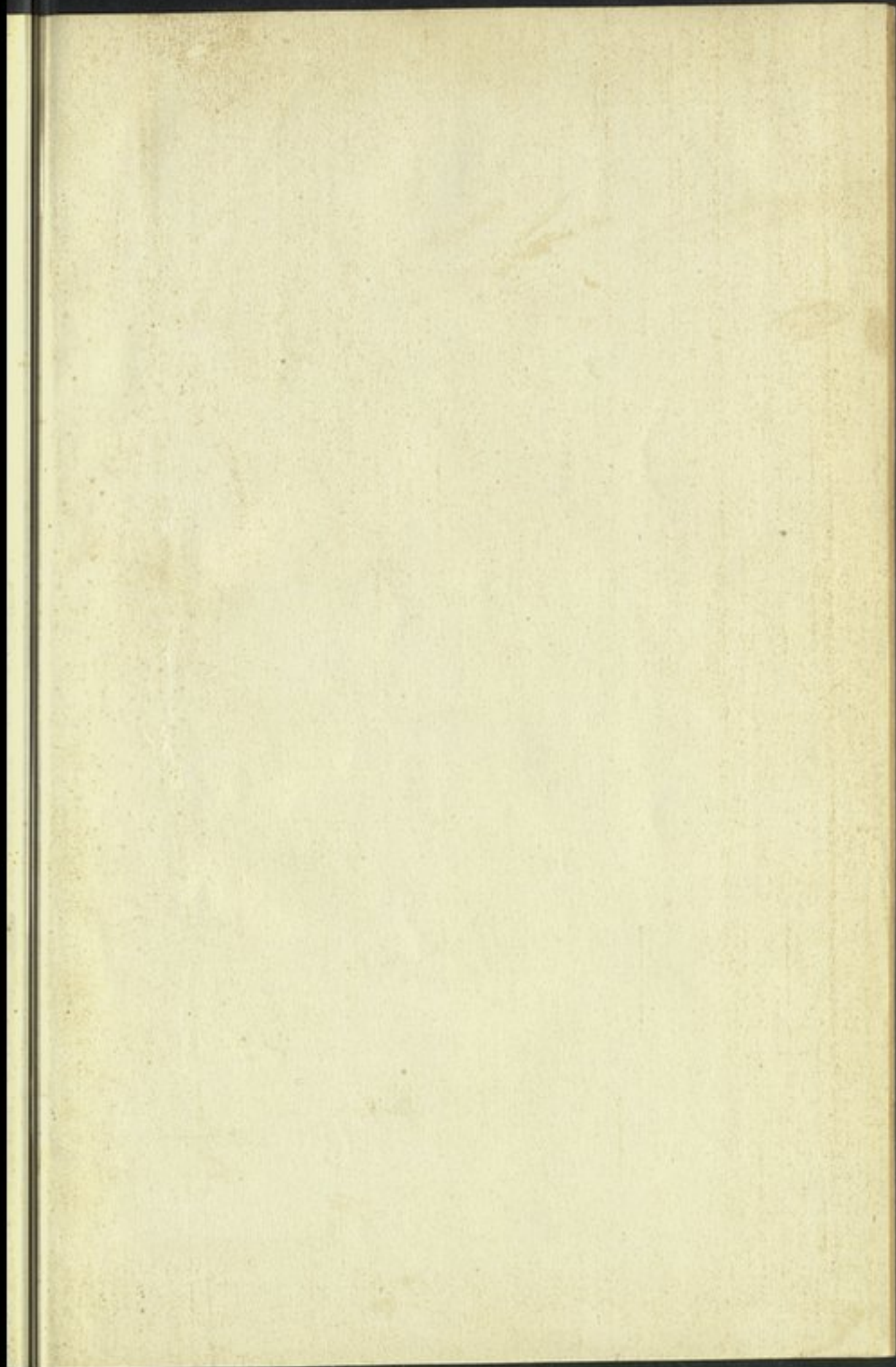
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنْيٌّ وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ^(١)

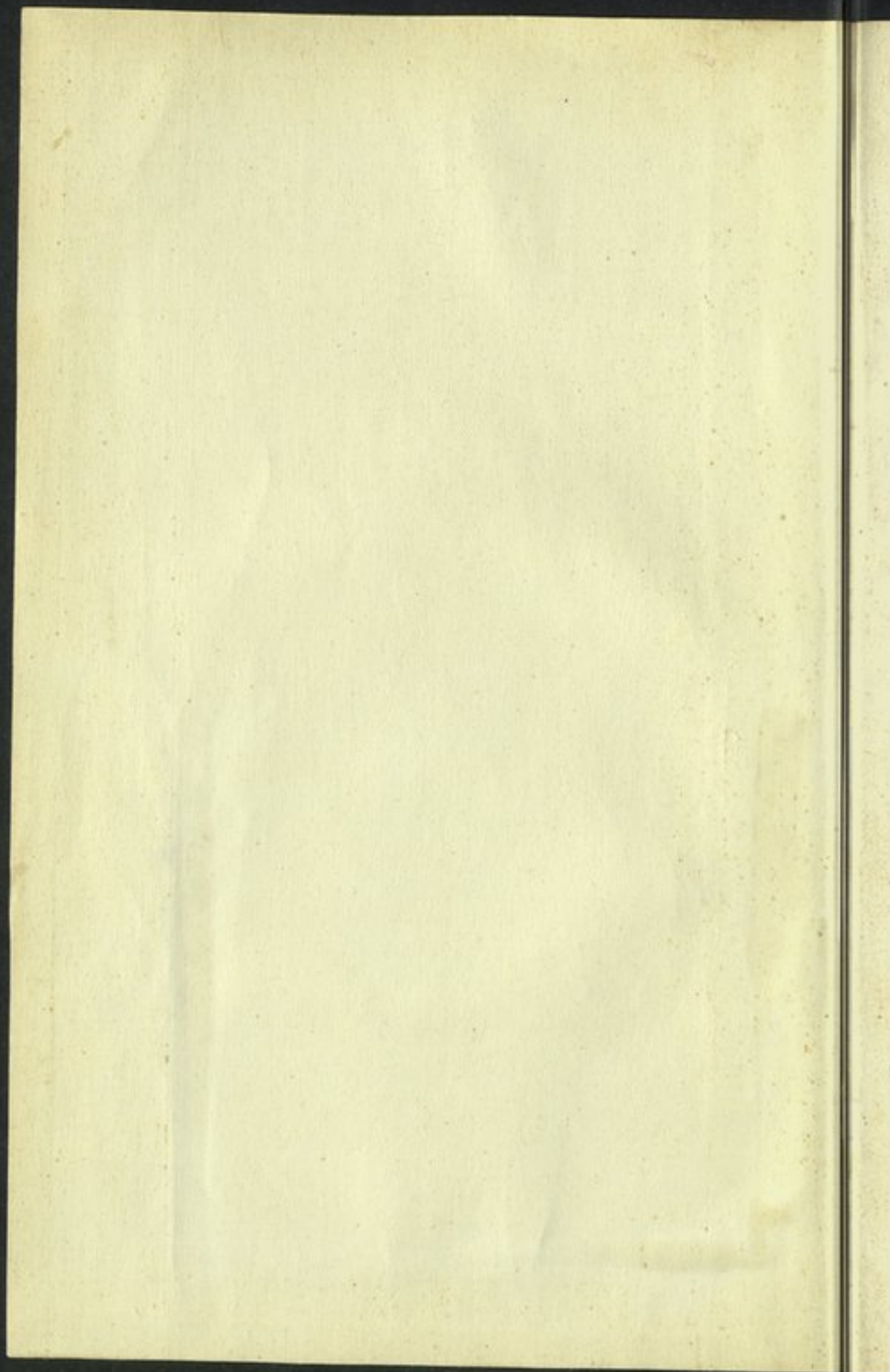
(١) قوله - رأيت جليلاً شأنه - النخ . . رأيت جواب اذا وشأنه فاعل جليلاً وجملة - وهو مرهف - حال وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوه اذا رقت شفرته ويقال أيضاً رهفته رهناً فهو رهيف ومرهوف - وضئ - تميز وهو مصدر ضئ من باب تعب اذا مرض مرضاً ملازماً - وسميناً - معطوف على جليلاً - وناحل - من نحل الجسم ينحل بفتحهما نحو لا سقم ومن باب تعب

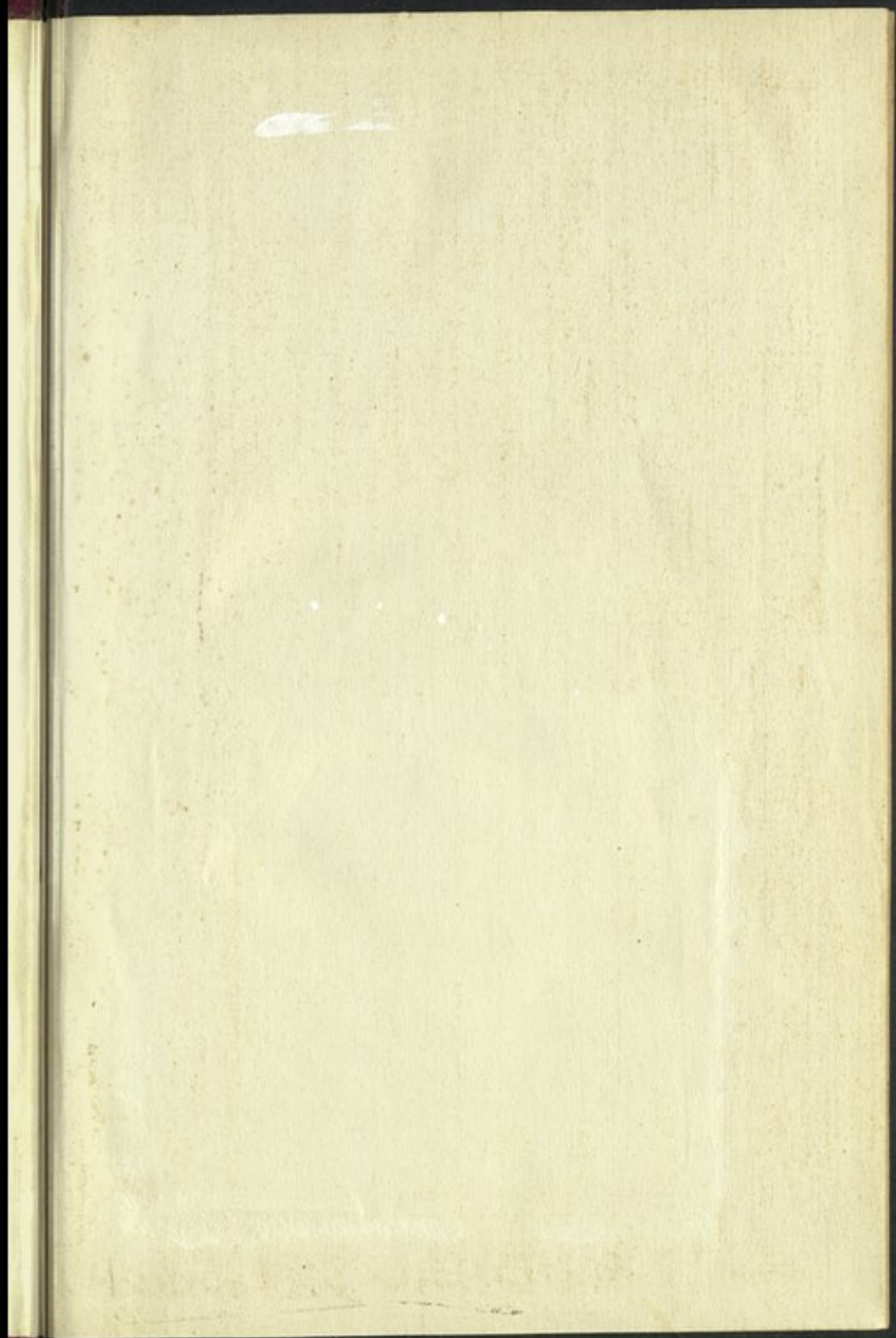
ثم والله الحمد الجزء الثاني من كتاب أمالي السيد المرتضى . . وقد صُحح هذا الجزء من أوله الى نهاية الملزمة الخامسة عشر منه بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعماني ومن ثم الى آخره بتصحيح حضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالاً وقد بذلا غاية جهدهما فيه تصحيحاً وضبطاً وتفسير ما يحتاج الى إيضاح فامضه أحسن الله اليهما وشكر مساعهما . . وقد تم والله الحمد طبعه في أوائل جمادى الثانية سنة ١٣٢٥ هجرية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم











التعساني، محمد بدر الدين
امالي السيد المرتضى في التفسير والح

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01045184

